



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجي الأغواط



كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

مذكرة ماستر

تقديم الطالب (ة) : إيمان دادة

ميدان : اللغة و الأدب العربي

شعبة : دراسات أدبية

تخصص : الخطاب الأدبي قديما و حديثا

شعرية أدب السيرة "الظاهر بيبرس أنموذجا"

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الدرجة العلمية	الصفة
بوفاتح عبد العليم	أستاذ محاضر (أ)	رئيسا
الشايب ورنريقي	أستاذ محاضر (أ)	مشرفا ومقررا
سعد بولنوار	أستاذ محاضر (أ)	مناقشا

السنة الدراسية : 2016 / 2017



إهداء

إلى تاج رأسي وفخر حياتي ، إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله ، إلى من عمل بكدي في سبيل راحتي
وعلمني معنى الكفاح وأوصلني إلى ما أنا عليه اليوم ، إلى من افتقده مع كل حدث في حياتي ...
إلى والدي الحاج الطاهر دادة جعل الجنة مثواه وأسكنه أعلى درجات الفردوس .

إلى من تعبت و سهرت و ربت وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات ، إلى أغلى إنسان في
هذا الوجود ... أمي الحبيبة .

إلى جدتي جربية نبع الحنان أطال الله في عمرها .

إلى من كانوا ملاذي وملجئي بعد والدي ... إخوتي : خالد و محمد و فخر الدين .

إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات ... أخواتي : ياسمينه ، فاطمة ، هدى و هاجر .

إلى براعم البراءة ... أبناء أختي : منار ، ريان ، أنيس .

إلى صديقاتي ورفيقات دربي : أمال ورنقي ، ياقوت عطية ، وهيبة عياشي .

إلى زميلات و زملاء الدراسة : محمود بن جدو ، بشرى قرقاز ، فريحة حميدات ، مروة بن توپريك

إلى كل من عمل معي بكدي بغية إتمام هذا العمل : خيرة جراي ، عائشة مالكي ، هاجر جمعيات

إلى كل من علمني حرفا وغذى فكري بالعلم والمعرفة ... إلى أساتذتي الكرام خصوصا أساتذة قسم
اللغة العربية و آدابها .

إلى كل طلبة السنة الثانية ماستر دفعة 2017 تخصص الخطاب الأدبي قديما وحديثا.

إلى كل من سقط من قلبي سهوا ...

شكر و عرفان

الحمد لله الذي أنار لي درب العلم والمعرفة وأعانني على أداء هذا الواجب ووفقني إلى انجاز هذا العمل .

اتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهته من صعوبات، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور: الشايب ورنقي الذي لم يخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عوناً لي في إتمام هذا البحث.

كما أتقدم بالشكر إلى أعضاء اللجنة المناقشة :

ولا يفوتني أن أشكر عمال مكتبة جامعة عمار ثليجي على تسهيل عملية البحث.

وفي الأخير أرجوا من الله تعالى أن يجعل عملي هذا نفعاً يستفيد منه جميع الطلبة المترشحين المقبلين على التخرّج .



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل والصلاة والسلام على خير الأنام محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعباد وعلى آله وأصحابه مصايح الظلام وبعد:

يطلق الباحثون في الأدب الشعبي العربي مصطلح السير الشعبية على سلسلة من الأعمال الروائية، الطويلة ذات مميزات فنية متشابهة، وذات أهداف ورؤى فنية متماثلة، بحيث تكون في مجموعها صنفاً أدبياً متميزاً، لا يخضع لقوانين العمل الروائي المعروفة خضوعاً كلياً بحيث نستطيع أن نسميه رواية، ولا يخضع في نفس الوقت لقوانين الملاحم الشعرية المعروفة خضوعاً كلياً بحيث نستطيع أن نسميه ملحمة، ومن هنا برز هذا المصطلح ليفي بالحاجة إلى تعريف خاص ينطبق على هذه الأعمال الأدبية المتميزة فيحددها، ويتحدد بها في نفس الوقت.

ولفظ السيرة في الأصل يطلق على ما نسميه اليوم بالتراجم، فالسيرة هي قصة حياة، ومعنى الكلمة متسلسل من الطريق أو المسلك وأصلها جميعاً سير، وصيغة الجمع لسيرة هي سير. وقد أُلغى العرب بالأنساب و من هنا كان اهتمامهم في تأليفهم الأولى منصباً على السير والمغازي- أما السير فهي تراجم حياة أبطال العرب وملوكهم وشعرائهم، و المغازي فهي رصد لأيامهم و معاركهم التي شغلت حياتهم قبل الإسلام-

ومن بين الأسباب التي دعوتنا إلى دراسة هذا الموضوع:

- اقتراحه من طرف الأستاذ المشرف وثقة منا في حسن اختياره .

- الرغبة الشخصية في معرفة حيثيات وتفاصيل الموضوع خاصة مع كثرة المادة الإعلامية (الأفلام والمسلسلات) التي تتناول هذا الموضوع.

وتندرج إشكالية هذا البحث في إطار الربط بين فن السيرة الشعبية في الأدب العربي وبين شخصية الملك الظاهر بيبرس (أمودجا).

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة نسوقها كما يلي:

ماذا يقصد بالشعرية وما المقصود بأدب السيرة؟ وما هي أنواعها؟ وما هو الهدف من كتابتها؟ وما هو دور السيرة في الحفاظ على تاريخ الظاهر بيبرس؟

ومن أجل حل ومعالجة هذه الإشكالية المطروحة اتبعنا الخطة الآتية المتكونة من مقدمة ومدخل و فصلين وخاتمة وفهرس. تناولنا بالدراسة في المدخل العناوين التالية: مفهوم الشعرية ومفهوم الأدبية والعلاقة بينهما، ومفهوم النص الأدبي وأيضاً مهدنا لأدب السيرة بتعريف السيرة لغة واصطلاحاً. أما الفصل الأول فقد جاء بعنوان أدب السيرة في التراث العربي وقد اندرجت تحته العناوين التالية: السيرة في الأدب العربي، أيضاً أنواع السيرة والغاية والهدف من كتابتها وأيضاً موقعها بين الفنون الأدبية الأخرى والعرب وتاريخ السير إذ تناولنا السيرة التاريخية قبل عصر الضعف وفي عصر الضعف وختمنا هذا الفصل بذكرنا لبعض خصائص فن السيرة، وركزنا على السيرة الشعبية.

أما بخصوص الفصل الثاني فقد جاء مخصوصا لسيرة الظاهر بيبرس تناولنا فيه تعريفا لسيرته وقمنا بدراسة شخصية الظاهر بيبرس التاريخية والشعبية، كما حاولنا دراسة منتج النص السيرى بين الكاتب المعلوم والكاتب المجهول، ودرسنا أيضا مصادر النص السيرى بين المادة التاريخية والنقل الواقعى المباشر، كما تطرقنا إلى مضمون سيرة الظاهر بيبرس وتعمقنا فى أبعاد السيرة، وختمنا هذا الفصل بقيامنا بدراسة فنية لسيرة الظاهر بيبرس.

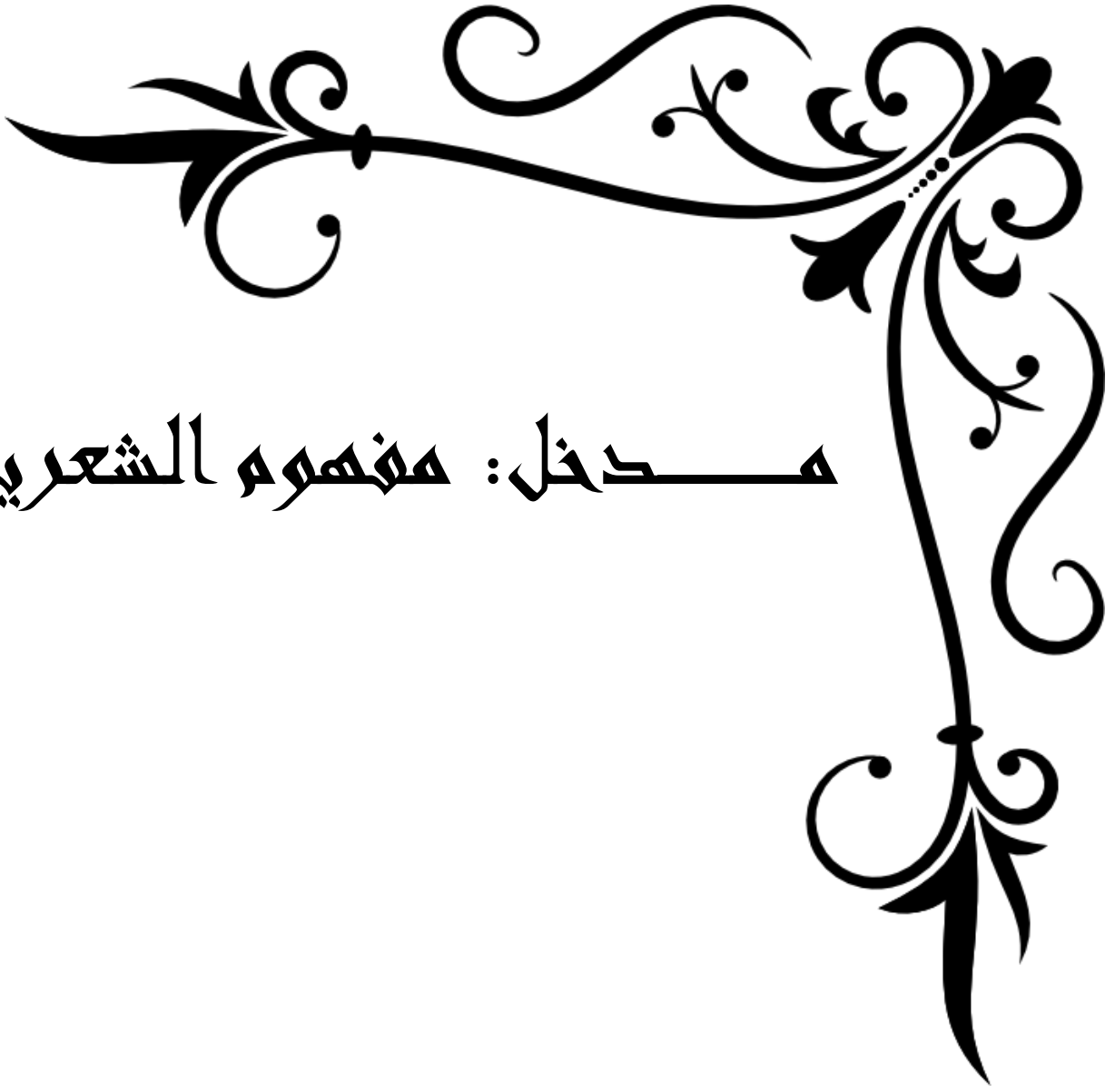
ولإنجاز هذا البحث اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع مثل: التاريخ والسير لحسن فوزى النجار، وسيرة الظاهر بيبرس للهيئة المصرية العامة للكتاب.

وقد اتبعنا فى دراستنا هذه لمنهج معروف فى مجال الدراسات الأدبية ألا وهو:

-المنهج الوصفى التحليلى الذى تم توظيفه فى الفصل الأول على الأعلب، واستعنا بالمنهج التاريخى الذى كان لا بد من استخدامه فى سيرة الظاهر بيبرس (الفصل الثانى).

ومن الصعوبات التى واجهتنا أثناء إعداد هذا البحث تشعب وشمولية واتساع الموضوع، أيضا طغيان الجانب التاريخى على الجانب الأدبى وقلة المصادر المتخصصة وضيق الوقت.

هذا ولا ندعى أننا استوفينا الموضوع حقه من جميع جوانبه، فحسبنا أننا بذلنا جهدا، فإن وفقنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا، والله الموفق للقصد.



مدخل: مفهوم الشرعية

1- مفهوم الشعرية :

لغة : «شعر : شعر به و شعر يشعر شعراً و شعراً و شعراً و شعرة و شعرة و شعرة و شعوراً و شعوراً و شعوراً و شعوراً و مشعوراً و مشعوراً ؛ الأخيرة عن اللحياني ، كله : علم و حكي اللحياني عن الكسائي : ما شعرتُ بمشعورة حتى جاءه فلان و حكي عن الكسائي أيضاً: أشعر فلاناً ما عمله ، و أشعر لفلان ما عمله ، و ما شعرت فلاناً ما عمله ، قال : و هو كلام العرب»¹

اصطلاحاً : « الشعرية poetics مصطلح قديم حديث في الوقت ذاته ، و يعود أصل المصطلح -في أول انبثاقه- إلى أرسطو ، أما المفهوم فقد تنوع بالمصطلح ذاته على الرغم من أنه ينحصر في إطار فكرة عامة تتلخص في البحث عن القوانين العلمية التي تحكم الإبداع . و يبدو أننا نواجه -من جهة أولى - مفهومًا واحدًا بمصطلحات مختلفة، و يبدو - بارزًا- هذا الأمر في تراثنا النقدي العربي، و نواجه مفاهيم مختلفة بمصطلح واحد من جهة ثانية و يظهر هذا الأمر في التراث النقدي الغربي أكثر جلاءً»²

للشعرية تعريفات كثيرة و مختلفة، تتباين من ثقافة لأخرى، ومن ناقد لآخر و حتى من زمن لآخر. و مع ذلك تتفق كلها تقريباً في فكرة أساسية و جوهرية، و هي: قوانين الخطاب الأدبي، و هذا هو المفهوم العام و المستكشف منذ أرسطو و حتى الوقت الحاضر³

فالشعرية عموماً هي : « محاولة وضع نظرية عامة و مجردة و محايدة للأدب بوصفه فناً لفظياً ، إنها تستنبط القوانين التي يتوجه الخطاب اللغوي بموجبها و جهة أدبية فهي إذن تشخص قوانين الأدبية في أي خطاب لغوي ، و بغض النظر عن اختلاف اللغات»⁴

1- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، مادة شعر ، مج 4 ، ص 409.

2- د/ حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1994، ص 11.

3- ينظر المرجع نفسه ص 05.

4- المرجع نفسه ص 09.

2- مفهوم الأدبية :

يبدو أن الشعرية و مكتسباتها لم يتفوقا داخل الحقل ذاته ، فالانتشار الواسع الذي شهده حقل الشعرية كان ذا جدوى واضحة كسرت نطاق الحقل ذاته لتشارك في إثراء التصورات النفسية و الاجتماعية للأدب . غير أن المقرب النفسي و الاجتماعي للأدب ليس هو الهدف هنا ، وإنما - من الضروري - أن تنصب محاولات ضبط العلاقات بين الشعرية و حقول - موازية لها - أخرى وصولا إلى تمييز جلي للشعرية نفسها ، و إلى تشذيبها من كل التداخلات بينها و بين هذه الحقول التي - ربما - تضيء عليها غموضا في أحيان معينة ، و في أحيان أخرى تشكل استكمالا لها كما سيتضح فيما يأتي.¹

إن من المناسب البدء بمناقشة علاقة الشعرية بالأدبية *literiness* فهذه الأخيرة هي - من بين الحقول الموازية للشعرية - الأكثر قربا لها ، و الأدبية كانت أسبق في الظهور في عالم النظرية النقدية الحديثة من الشعرية.²

نجد سعيد علوش يلخص مفهوم الأدبية في العديد من المدلولات تتمثل فيما يأتي :

- 1) طابع ما هو خالص في الأدب ، أي ما هو شاعري منذ بدايته
- 2) ليس موضوع الأدب ، عند ياكبسون هو الأدب ، بل هو الأدبية ، أي ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا، ويضعف من مبدأ السببية المباشرة ، بين ظروف الكاتب و إنتاجه الأدبي ، مما يسمح بتفسير واقع الإنتاج، لا الإنتاج ذاته
- 3) المصطلح مقياس سيميائي يخص النصوص الأدبية وحدها
- 4) تعرف الأدبية ، في النظرية السيميائية للأدب ، بكونها تسمح بتمييز كل النص أدبي بالنسبة للنصوص غير الأدبية ، في دراسة الشكلايين خاصة.³

1- د/حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، (مرجع سابق) ، ص 35.

2- المرجع نفسه ص 35.

3- نفسه ص 35 ، 36.

إن مصطلح الأدبية - و على مستوى المفهوم - يتسم بالعلمية ، أو بالأحرى كان ينحو منحى علميا، و لهذا فهي إرهاب واضح و بدئي لما يسمى ب (علم الأدب) ، و هذا الأخير - أيضا - من الحقول الموازية لحقل الشعرية ، و هدف علم الأدب المفترض هو تحديد القوانين المجردة التي تمثل قاسما مشتركا بين الأعمال الأدبية ، و لهذا فإن نسبة اللغة Langue إلى الكلام parole بمعنيهما السوسيريين.¹

3- بين الشعرية و الأدبية :

إنّ الأدبية و الشعرية يشتركان معاً في أن لهما غاية واحدة، و أنّهما يتسمان بالعامية غير أن مصطلح الأدبية لم يجد الرواج الكافي لينتشر و يتبنى، فسرعان ما شاعت الشعرية و طغت عليه. فالأدبية إذن مفهوم موازي لمفهوم الشعرية في أهدافه - و إلى حد ما - في طرائقه ، و على الرغم من صعوبة ضبط علاقتهما ، و تمييز حدودهما ، إلا أنّ الأدبية - تارة - تتخلى عن كونها مفهوما نظريا مستقلا لتكون موضوعا لعلم الأدب ، بالأحرى لتكون موضوعا للشعرية نفسها و بعيدا عن المفارقة الزائفة التي تبدو -ربّما - في كون الأدبية موضوعا للشعرية فإن نظرة دقيقة لاستراتيجية الشعرية ، تظهر أن الأدبية هي موضوعها الأكيد ،فما دامت الشعرية -ومن بين مهامها الأساسية - تستنبط الخصائص المجردة في الخطاب الأدبي ، و هذه الخصائص هي التي تضفي على الخطاب أدبيته ، أي أن الخصائص المجردة هذه هي - اختصارا - الأدبية ذاتها ، فالشعرية - اختصار أيضا - تستنبط الأدبية في الخطاب ، و بهذا تكون علاقة الشعرية بالأدبية علاقة المنهج بالموضوع على التوالي.²

4- النص الأدبي :

النص الأدبي عند البعض « هو مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة و عند البعض الآخر أنه شكل للتفاعل الاجتماعي و ذلك تبعا للمقام الذي ورد فيه أو بالأحرى أنتج فيه.»³

و النص الأدبي باعتباره منظومة معرفية لا يتأسس فقط على معرفة بسيطة تستند إلى المجتمع أو الفرد و حسب ، أو إلى الجانب النفسي لمنتجه و كفى ، و لكنه يتأسس على ذلك كله. و من ثم فإن منتج "مبدع" النص الأدبي لا يمكنه ان يصوغ نصا يقف فيه أو معه القارئ على جانب من الأهمية . بل لا بد لمبدع النص الأدبي من جملة من المعارف النفسية و التاريخية و الأدبية و الاجتماعية و السياسية حتى فإن القارئ في تحليله للنص الأدبي لا بد

1-حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ،(مرجع سابق) ، ص 36.

2-ينظر المرجع نفسه ص 36.

3- الأستاذ جاهمي محمد ، النص الأدبي سيماه و سيميائوه ، قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة 8 ماي 1945 قلعة ، ص 335.

أن يكون مزودا بروافد ثرية من هذه المعارف جميعا حتى ينجح في الكشف عن رموز النص الأدبي ، و دلالاته و حتى خلفياته و مرجعياته المختلفة.¹

5- أدب السيرة :

« يعد أدب السيرة من أعلى الفنون شأنًا، و تعبيرا عن طبيعة العصر الذي أنشئت فيه ، فالتراث النثري العربي زاخر بالعديد من تلك السير ، التي تتسم بما هو ذاتي الطابع عامي الاهتمام ، بل مزيجا بينهما ، فتكشف تلك السير العربية عموما عن الملامح الثقافية التي قد نسعى للبحث عنها، و لا نعثر عليها بسهولة بين سطور الكتابات النثرية الأخرى. و قد شاع استعمالها من حيث تناولها حياة فرد له أهميته باعتباره موجها للأحداث في عصره أو جماعة أخذت مكانها المرموق في تاريخ شعب أو أحداث إنسانية ، و هي تمثل الأدب، لأنها تحمل مضامينه و انطباعاته ، و تتلون بالثقافة العامة التي عاشها و تأثر بها ، و بالوضع الاجتماعي و النفسي ، وتتحدد من خلال الموقف الثابت الذي يمثله كاتبها ، أو صاحبها من الحياة.»²

استعملت لفظة السيرة في القرآن الكريم ، قوله تعالى: «سَنَعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى»³

6- السيرة لغة و اصطلاحا :

لغة : « السيرة : الضرب من السير ، و السيرة : الكثير من السير، هذه عن ابن جني .والسيرة : السنة ، و السيرة : الطريقة ، يقال : سار بهم سيرة حسنة ، والسيرة : الهيئة. وقد ورد في الشعر في هذا المجال لخالد بن زهير :

فلا تجزعن من سِنَّةٍ أنت سرَّها فأول راض سِنَّةً من يسيرها⁴

و المقصود من قوله لا تغضبين من تلك السنة أو الطريقة فأنت جعلتها سائرة بين الناس.
« و السير : الذهاب ، كالمسير و التسيار و المسيرة و السيورة ، و سار يسير و سارهُ غيره و أساره و سار به و سيره ، و الاسم : السيرة .و طريق مسور و رجل مسور به . و السيرة : الضرب من السير و السيرة بالكسر : السنة و الطريقة و الهيئة.»⁵

1- الأستاذ جاهي محمد ، النص الأدبي سيماه و سيماؤه ، (مرجع سابق)،ص336.

2- الطالب حازم فارس علي أبو شارب« فن السيرة في الأدب الأيوبي» رسالة ماجستير في تخصص اللغة العربية و آدابها ،كلية الآداب و العلوم . قسم اللغة العربية و آدابها ،جامعة الشرق الأوسط ، 2010-2011 ،ص37.

3- سورة طه : الآية 21.

4- ابن منظور، لسان العرب ، مادة سير ، (مصدر سابق)، ص 390.

5- الفيروز بادي ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 8 ، 2005 ، مادة سير ، ص 412.

و في تاج العروس للزبيدي: « السيرة بالكسر هي السُّنة، و قد سارت سيرتها و السيرة الطريقة، يقال سار الولي في رعيته سيرة حسنة، و السيرة الهيئة.»¹

اصطلاحا :

السيرة في الاصطلاح هي : بحث يقدم فيها الكاتب حياته أو حياة أحد الأعلام المشهورين ، و يبرز فيها المنجزات التي تحققت في حياته أو حياة المتحدث عنه . أما فن السيرة في التعريف الأدبي هو: نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي ويراد به مسيرة حياة إنسان و رسم صورة دقيقة لشخصيته . و قد بدأ هذا المصطلح سيرة ذاتية إلى الوجود في أول مرة ، في بداية القرن التاسع عشر و جاء في المعجم اوكسفورد (oxford) و يرجع تاريخه إلى عام 1809 م.²

1-مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1306هـ، ط1، مادة سير، ص 387.
2-عبد الحميد البغدادي ، فن السيرة الذاتية و أنواعها في الأدب العربي ، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب ، لاهور-باكستان ، العدد الثالث و العشرون ، 2016م، ص 191.



الفصل الأول : أدب السيرة في التراث العربي

I- السيرة في الأدب العربي

II- موقع أدب السيرة بين الفنون الأدبية الأخرى

III- العرب وتاريخ السير

IV- خصائص فن السيرة

V- السيرة الشعبية

I- السيرة في الأدب العربي :

تباينت آراء النقاد حول وجود أدب سيرة عند العرب، ساندتها قلة الدراسات التاريخية و النقدية في مجالها، و على الرغم من أنّ أدب السيرة قد و جد قديماً تحت مسمى (خبر)، دون أن يتخذ المصطلح الذي يشيع به عند المتأخرين، أو يقف عند حدود الفروقات التي تميز السيرة عن الترجمة، أو السيرة الذاتية عن السيرة الغيرية، أو السيرة الفنية عن رواية السيرة ، و لعل من أقدم السير العربية الواضحة المعالم ما تناولت حياة الرسول صلى الله عليه و سلم و مغازيه، مثل الذي سلكه ابن اسحاق في السيرة النبوية، و استثمره ابن هشام -من بعده- في صناعة سيرته النبوية . كما نجد سير بعض المشاهير من رجال دولة الإسلام، مثل "سيرة أبي بكر"، لمحمد بن عمر الواقدي (ت. 204 هـ)، و "سيرة معاوية"، لعوانة الكلبي (ت. 127 هـ)، و "سيرة عمر بن عبد العزيز"، لمحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، و "سيرة عمر بن الخطاب"، للجوزي (ت. 597 هـ)، و "سيرة صلاح الدين الأيوبي"، لابن شداد (ت. 632 هـ)، و "سيرة الظاهر بيبرس"، لمحي الدين عن عبد الظاهر (ت. 692 هـ) ثم تزدهر الكتابة السيرية في أواخر العصر العباسي (عصر الضعف) لنشهد مجد السير الشعبية. و في هذا العصر نجد نمطا من السير الذاتية، حرص بعض المشاهير من رجال العلم و الفكر و الأدب على كتابتها، كالسيرة الذاتية للرازي، و ابن طفيل، و ابن الهيثم، و الغزالي، و ابن حزم و ابن الجوزي، و السيوطي، و ابن خلدون.¹

و قد شاع مفهوم كلمة سيرة في الأدب العربي مدللا على الجنس الأدبي الذي يشتمل على حياة فرد من الأفراد.²

1-أنواع السيرة:

السيرة في الأدب لها أشكال متعددة و أنواع مختلفة، و لأجل ذلك هي متعددة التعريفات تبعا للنوع و الشكل الذي تلبسه، و لكن أشهر السير و أعمها نوعان :

أ-السيرة الذاتية :

تصور لنا أبعاد كاتبها الثلاثة من خلال رؤياه هو: الداخلي، و الخارج، و الأعلى. و نذكر هنا تشبيه "لاشليه" الحياة الإنسانية بشجرة السنديان الكبيرة؛ إذ يقول: "إنه كما أن لهذه الشجرة جذورا متأصلة في أعماق التربة تستمد منها الغذاء الحي الكامن في الأرض، و ساقا ضخمة تنقل هذا الغذاء الى أعلى حيث النور و الهواء فكذلك للموجود

1-طه حسين : على هامش السيرة، ج1، من مجموعة (إسلاميات)، منشورات دار الآداب، بيروت، 1967، ط1، ص209.

2-د/إبراهيم عبد الدائم يحيي، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1975م، ص3.

الإنساني حياة شخصية باطنية تستمد منها حياته الخارجية كل ما هي في حاجة إليه من غذاء، و هذه الحياة الخارجية بدورها مرتبطة بالحياة العليا التي لا بد لها من أن تتفتح فيها و تؤتي ثمارها. و لو أننا فصلنا الواحدة منها عن الأخرين، أو الواحدة عن الأخرى، لما قامت للحياة البشرية عندئذٍ أية قائمة، لأنها في هذه الحالة سرعان ما تذبل و تجف، ثم لا تلبث أن تتلف و تفسد. أما إذا أعدنا إلى تلك المجالات الثلاثة استمرارها و انتظامها، فهناك لا بد من أن تجري الحياة حارة دافقة في عروق الموجود الإنساني، و بالتالي فإنه لا بد من أن ينعم الإنسان بالتوافق و الاتزان.¹

و في هذا التشبيه تجسيد لوظيفة « السيرة الذاتية » حينما تحقق لكتابتها التوافق و الاتزان؛ إذ تيسر له أن يعيش حياته الداخلية و الخارجية و العليا من خلال ذكرياته؛ و الكشف عن أسرار حياته الباطنية، و تأمل ذاته العميقة، لما فيها من ثراء داخلي، يمثل عالماً أصغر. فالسيرة الذاتية إذًا تنبع من القاموس الإنساني، الذي يحوي في " معظم لغات البشر كلمات تعبر عن الوحدة، و العزلة، و الانطواء، و التأمل، و الاستبطان، و التفكير العقلي، و الضمير، و الوعي الفردي... الخ " و مهما كان من أمر انشغال الإنسان بالعالم و الآخرين، فإنه لا بد من أن تجيء عليه لحظة يجد نفسه فيها في « حوار مع نفسه ». و إذا كنا نقول إن الإنسان " شخص " و ليس مجرد " فرد " ، فذلك لأنه يملك حياة " باطنية " تحول بينه و بين الاستغراق في المجموع إلى أقصى حد. و على ذلك فإن كتابة السيرة الذاتية تتم حينما يكون في مقدور كاتبها قطع صلتها- إلى حين- بالبيئة الخارجية، لكي يجمع شتات نفسه أو يتملك زمامها، أو يتلمس لحيواته العديدة مركزاً يلم شعثها في النص الأدبي الذي يتخذ شارة " السيرة الذاتية " بين فنون القول المختلفة.²

1- ينظر د/ عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية ، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان، مكتبة لبنان، مصر، 1992 ص 6، 7

2- المرجع نفسه، ص 17.

ب-السيرة الغيرية :

« هي بحث عن الحقيقة في حياة إنسان فذ، و كشف عن مواهبه و أسرار عبقريته من ظروف حياته التي عاشها، و الأحداث التي واجهها في محيطه و الأثر الذي خلفه في جيله.»¹

يراد بها الجنس الأدبي الذي يكتبه بعض الأفراد عن غيرهم من الناس، سواء أكانوا من الأعلام الذين عاشوا في الزمن الماضي أو في الزمن الحاضر. و قد أخذها عبد اللطيف الحديدي في كتابه فن السيرة، بحث يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير، فيسرد في صفحاته حياة صاحب السيرة أو الترجمة و يفصل المنجزات التي حققها، و أدت إلى ذبوع شهرته، و أهله لأن يكون موضوع دراسة. 2

و السيرة الغيرية أقدم زمنا من السيرة الذاتية، لأنها برزت مع التأريخ و الأدب فمنذ وجود الحضارات، جعل الرجال

يؤلفون فيها الذين كانوا يتكسبون في بلاط الحكام و السلاطين، فكانوا يكتبون ما كان يجري في زمنهم من تطور و

نشوء، فكتبوا للملوك و السلاطين، و للحروب و المحاربين، و إن معظم هذه الأعمال تشتمل تحت مفهوم السيرة

الغيرية.³

2-الغاية و الهدف من كتابة السيرة :

إنّ الغاية و الهدف التي تحقّقها كتابة السير لصاحبها هو تخفيف العبء عن عاتقه بصفة خاصة، و نقل تجربة ذاتية إلى الآخرين بصفة عامة و دعوتهم إلى المشاركة فيها، فهي توفر فرصة للفنان يريح نفسه بالاعتراف و لإيضاح موقفه من المجتمع، أو نقل رأي هذا الشخص و موقفه من مجتمعه فيكتب ليفيد الناس بنقل تجربة الآخرين أو تجربته الذاتية، فإذا كان يحس بالاضطهاد من المجتمع، فإنها تخفف من هذا الشعور بالحديث عنه. و إذا أحس بوقع ذنوبه و أثامه، أراح ضميره بالاعتراف بها و قمع نفسه بالإعلان عن سيئاتها، ووقف منها موقف المتهم و القاضي معاً و إذا رأى شخص ما يمر بصراع نفسي أو روحي أو فكري و خرج منه سالماً، رسم تلك الصورة لذلك الصراع و أنهى القصة بالهدوء الذي يعقب العاصفة، و الاستبشار الذي يأتي بعد اليأس. و إذا نقل لنا سيرة شخص مرّ بفشل و أخفق أو هزم أو اتهم، فهنا يحاول أن يبين لنا كيف حاول أن يرضي هذا الإنسان ضميره و هو يظهر الاعتذار و التعليل و التبرير لما حصل. فالكشف عن دخائل نفسية الإنسان هو الطريق الصحيح ليقدره الناس من حوله و ظهور صدقه. و إنّ كل هذه العوامل و الأسباب تكون وراء الغاية و الهدف من كتابة السيرة بصفة عامة و خاصة.⁴

1-د/حسين فوزي النجار، التاريخ و السير، دار القلم، القاهرة، 1964، ص 14.

2-د/عبد المجيد البغدادي، فن السيرة الذاتية و أنواعها في الأدب العربي، ص 191 (مرجع سابق)

3-د/المرجع نفسه، ص 191 ، 192.

4-ينظر د/محمد يوسف (باحث في جامعة جواهر لال نهرو - نيودلهي)، السيرة الذاتية و حقائقها في التاريخ، مقالة .

و قد تقسم السيرة باعتبار غايتها كما يلي :

-تباينت الغايات التي كتبت من أجلها السيرة منذ أن بدأ هذا النوع الأدبي بالظهور في تاريخ الأدب عامة، و كان لاختلاف الغاية أثر كبير في تشكيل بنية السيرة و خصائصها العامة فقد ارتبطت السيرة في بداية نشأتها بالتاريخ، و استمرت زمنا طويلا لا تنفك عنه و مثلت نوعا من السيرة عرف بالسيرة التاريخية.

1-السيرة التاريخية:

هي التي وجهت عنايتها إلى تسجيل الأحداث، و الحروب و الوقائع المختلفة في حياة فرد من الأفراد، فهي تعرض أعماله متصلة بالأحداث العامة، أو منعكسة منها أو متأثرة بها، قد تتضمن إضافة إلى ذلك غايات خلقية ووعظية، و لكن يظل البعد التاريخي فيها هو السائد و هو الغاية الكبرى. و قد تبتعد السيرة عن الغايات التاريخية، و تتخذ خطا مغايرا تماما، فتصبح غايتها تعليمية، أو أخلاقية تتجه نحو الوعظ و التدبير في أحوال الآخرين.¹ و يشير إلى ذلك ابن الجوزي بقوله: « إنَّ التواريخ و ذكر السير راحة للقلب و جلاء للهم، و تنبيه للعقل...ان شرحت سيرة حازم عملت حسن التدبير و ان قصت قصة مفرط خوفا من إهمال الحزم و قد مثل هذا الخط نوعا جديدا من السير عرف بالسيرة "التعليمية".»²

2-السيرة التعليمية:

هي التي شكلت على نحو مخصوص لا يجاوز ذكر المناقب و الأقوال و الأمثال و الأعمال الفاضلة التي تأدب بها المتأدبون فهي مجموعة من الأخبار المتفرقة تدور حول شخص واحد. و هناك غاية أخرى، كان لها دور قوي في توجيه كتابة السيرة ، تمثلت في إشباع الحاجة إلى السمر، و الميل إلى الإمتاع و الفكاهة، و إثارة الدهشة، فكثير من السير ليس فيها الدافع الخلقى ولا فيها الدافع التاريخي، و لا هي عمل أدبي واضح، و إنما هي مجموعة من القصص و المغامرات تدور حول شخصية واحدة و يتفاوت فيها عمل الخيال و لكنها جميعا مسلية تصاغ في أسلوب مبسط، و قد كان لمثل هذه الغايات أثر كبير في نشأة ما يعرف بالسيرة " الخيالية أو الشعبية"³

3-السيرة الخيالية أو الشعبية:

«هي التي هجرت عالم الحقيقة، و تعلقت بحال الخيال، فمثلت شكلا من أشكال القصص البطولية التي تتجه نحو تصوير الإنسان المثال.»⁴

1- موقع من الانترنت www.startimes.com ، تطور فن السيرة عبر العصور، أرشيف الطلبات والبحوث الدراسية.

2- د/إبراهيم السعافين و آخران، أساليب التعبير الأدبي، دار الشروق، عمان، ط1، 1997، ص 192.

3- نفس الموقع

4- د/إبراهيم السعافين ، أساليب التعبير (مرجع سابق)،ص 193.

فالسيرة لا تقتصر على هذه الأنواع فقط، إذ نجد أنواع أخرى مختلفة للسيرة في بعض كتب الآداب، تمثلت في السيرة النبوية، و السيرة الشعرية.

أ-السيرة النبوية:

و يراد بسيرة رسول الله صلوات الله و سلامه عليه التعرف على حياته من ظهور الإرهاصات التي مهدت لرسالته و ما سبق مولده من سمات تلقي أضواء رحمانية على طريق الدعوة المحمدية و مولده، و نشأته حتى مبعثه، و ما جاء بعد ذلك من دعوة الناس إلى الدين الحنيف، و ما لقي في سبيل نشر الإسلام من معارضة و ما جرى بينه عليه الصلاة و السلام و بين من عارضوه من صراع بالقول و السيف و ذكر من استجاب له حتى علت راية الحق، و أضاءت شعلة الإيمان. و قد عرفت تلك الحروب بالغزوات و السرايا، و إن غلب فيها لفظ المغازي أي الحروب التي اشترك فيها الرسول صلى الله عليه و سلم بالقتال، و لكن هذا الاسم تطور مع الزمن حتى شمل معناه تاريخ حياة النبي عليه الصلاة و السلام و الصحابة رضوان الله عليهم، و من الأرجح أن كلمة مغازي كانت تشير إلى حياة النبي الكريم في المدينة المشرفة فقط، و ذلك لأن المدينة هي التي شهدت فترة الغزوات و القتال، بين المسلمين و غيرهم من أهل الشرك، ثم اتسع نطاق هذا اللفظ ليشمل سيرة النبي صلى الله عليه و سلم بأكملها. 1

ب-السيرة الشعرية:

لعل الشعر أراد أن يثبت أنه قادر على أن يلج الميادين التي كانت للنثر، أو لعل الشعراء أو ناظمي الشعر من المؤرخين، أرادو للشعر أن يكون سبيلا متأنقا لكتابة التاريخ فلجأوا إلى تدوين بعض السير، عن طريق الكلام المنظوم الذي يقيد الوزن و القافية معا كما في القصائد التاريخية أو يقيد الوزن فقط مع تنوع القافية، كما في الأراجيز التاريخية. ولكن يظهر أن المؤرخين الشعراء لم يرضوا بالنثر وسيلة لغرضهم من الترجمة و السير فاستخدموا الشعر في ذلك الباب، وهي حركة كانت استجابة لحركة الشعر التعليمي، الذي بدأ يدخل كل ميدان من ميادين العلوم. و لعل أقدم تاريخ منظوم هو ما صنعه عبد الله ابن المعتز المتوفى سنة 296هـ، في قصيدته التاريخية في أشعار الخلفاء و الملوك، و في أرجوزته في تاريخ الخليفة المعتضد العباسي التي صنعها بإشارة من المعتضد نفسه، و قد أعجب بها الخليفة و حَقَّظها إحدى جواريه، فكانت تنشده إياها في أكثر أوقاته. 2

1-د/ابن هشام ، السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ج1، دار الجيل ، بيروت، لبنان، ص 14.

2-د/محمد عبد الغني، التراجم و السير، دار المعارف، مصر-1119 كورنيش النيل-القاهرة ج.م. ع ، ط 3، د.ت ، ص37.

و السيرة الشعرية لرسول الله صلى الله عليه و سلم فقد تصدى للقيام بها جماعة من المؤرخين الشعراء كما فعل شمس الدين الباعوني المتوفى سنة 871هـ في كتابه المسمى "منحة اللبيب، في سيرة الحبيب" و كما فعل زين الدين بن الشحنة المؤرخ المتوفى سنة 815هـ في أرجوزته في سيرة الرسول، و يبلغ عدد أبياتها تسعة و تسعين بيتا، و كما فعل ابن سيد الناس المتوفى سنة 734هـ في كتابه "بشرى اللبيب، في ذكرى الحبيب" و إن كانت في الحق أقرب إلى شعر المديح منها إلى شعر السير.¹

أما السيرة الشعرية لغير النبي عليه الصلاة و السلام فقد كتب فيها جماعة من مؤرخي العصر المملوكي، و أشهرهم الأديب الكاتب المؤرخ محي الدين بن عبد الظاهر المتوفى سنة 692هـ في كتابه "سيرة السلطان الملك الظاهر بيبرس"، و بهاء الدين الباعوني المتوفى سنة 910هـ في كتابه "القول السديد الأظرف، في سيرة السعيد الملك الأشرف" و هي أرجوزة تقع في أكثر من خمسمائة بيت، و تشمل على سيرة السلطان برسباي إلى قايتباي، و بدر الدين العيني المؤرخ و صاحب كتاب "عقد الجمان" المتوفى سنة 855هـ، و قد نظم سيرة الملك المؤيد السلطان المملوكي في كتاب يعرف "بالجوهرة" و يظهر أنه لم يقتنع بهذه السيرة الشعرية فألف كتابا آخر منشورا في سيرة ذلك السلطان أسماه "السيف المهند، في سيرة المؤيد". و إذا كنا نعجب من طريقة بعض الكتاب المتصنعين في عصور متأخرة من حل الأبيات الشعرية و تحويلها إلى منشور، فماذا يبلغ بنا العجب إذا عرفنا أن سيرة المؤرخ ابن عبد الظاهر التي سبقت الإشارة إليها و التي نظمها مؤلفها بالشعر، و قد أحالها إلى لغة نثرية شافع العسقلاني المتوفى سنة 730هـ في كتاب أسماه "المناقب السرية، المنتزعة من السيرة الظاهرية". و الحق أن هذه السير لم تكن في مجموعها غير نوع من التقرب، و الزلفى، و المدائح للمؤرخة سيرتهم، و لم يكن فيها من مناهج الترجمة و كتابة السير ما يضيف إلى العلم أو التاريخ حقيقة جديدة، أو يجلو لبسا، أو يحقق مسألة. غير أن الطرق اختلفت بهم فيمن يتقربون إليه، و يلتمسون الزلفى عنده، أو الشفاعة لديه. فأصحاب سيرة الرسول الشعرية يكتبونها على طريق التقرب إلى رسول الله، و التيمن بسيرته، و الاصطناع لديه. و أصحاب سير الملوك و الحكام يتبعون بها الجاه و يلتمسون بها الزلفى، و يتوقعون منها عرض الدنيا. و لكل وجهة هو موليها...»²

II- موقع أدب السيرة بين الفنون الأدبية الأخرى :

إن فن السيرة فن قديم في الأدب العربي ، ولقد مر بتغيرات مع مرور الزمن لأن العرب كانوا يعرفون هذا الفن في العصر الجاهلي أيضا، فهو ليس من الفنون المستحدثة فقد امتلك العرب مادة ضخمة من المرويات السيرية صنعتها السير و التراجم، حيث شهد فن كتابة السيرة تطورات مع الزمن حتى أنه برز في أنواع مختلفة من الأدب مثل : القصة، الرواية، الاعترافات، و المذكرات، و الرحلات، و الرسائل.³

1-د/محمد عبد الغني، التراجم و السير (مرجع سابق)، ص 38 ، 39.

2-المرجع نفسه، ص 39.

3-ينظر د/عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الصنایع، بناية عيد بن سالم،

طبعة موسعة، 2008، ج1، ص 221

1- أدب السيرة و الرواية:

يقوم أدب السيرة على الموضوعية و الابتعاد عن الذاتية، و تكثيف الجهد في إطار موضوع البحث و عدم التحيز لأفكار مسبقة أو أشخاص معينين، إلى جانب الالتزام بالصدق التاريخي ووعي به التحدي و التقصي عن الحقائق التاريخية بصورة مباشرة، و الابتعاد عن المغالطات و التخمينات أي عرض الحقائق التاريخية كما هي و ذلك بالاعتماد على منهج الوثيق الذي يعتمد على إثبات مصادر المعلومات و ارجاعها إلى أصحابها من أجل مراعاة الأمانة العلمية و اعترافا بجهود الآخرين و حقوقهم العلمية و إخضاع الحقائق إلى منهج قرائي واضح الأسس و المعايير.¹

أما الرواية فهي فن من فنون الأدب، غايته سرد حادثة أو معالجة فكرة اجتماعية بأسلوب يقوم على السرد، أي حكاية الوقائع على النسق التاريخي و التشويق، فأكثر الأعمال الأدبية تدل على ذاتية كاتبها، كما أنّ الذاتية تختفي وراء الشخصية الروائية.²

2- أدب السيرة و التاريخ:

السيرة تمشي إلى جانب التاريخ جنباً بجنب، تنشأ و تشب في حضن التاريخ حيث نجد أدلة على هذا الاتصال بين السيرة و التاريخ و هي في أكثر من الأحيان يكون التاريخ تأريخاً لحياة قوم ما، بل إنه يمكن من خلال تقصي التاريخ و المعاينة و التدقيق في تلك السير رسم صورة واضحة الطريق عن تاريخ الأمة في تلك الفترة و منها سيرة إبراهيم الشاب، فهو يؤرخ فيها لحرب 1948 الميلادية و كذلك لحرب 1967 الميلادية و فيها يرسم صورة واضحة لليهود في تلك الفترة. و السيرة تختلف عن التاريخ في عدة أمور من أهمها: أنّ السيرة الذاتية تعتمد على الذاكرة فقط و قد تسقط بعض الأشياء و الأمور و تغفل عن بعضها الآخر، إذن ثبت بأن التاريخ يعتمد على الوثائق العلمية و الشهادات الموثوقة، فمن هنا وضح الفرق بين السيرة و التاريخ حيث نستطيع أن نقول: أن السيرة فن أدبي مرتبط بالتاريخ، و الدليل على ذلك أنّ كثيراً من السير حين تفقد العنصر التاريخي، تصبح أقرب إلى الإخبار الذي يراد منه الفائدة العامة فقط.³

3- أدب السيرة و المذكرات:

إن كاتب المذكرات لا يتكلم عن نفسه بالضرورة، و لكنه يتكلم عما يدور حوله من الأحداث، و يدوّنها و يؤرخ لها، و هو لا يكتب عن نفسه إلا شيء بسيط حيث نجد في تعريف المذكرات بأنه: سرد كتابي لأحداث جرت خلال حياة المؤلف، و كان له دور فيها، و تختلف عن السيرة الذاتية في أنها تخص العصر و شؤونه بعناية كبرى فتشير إلى جميع

1- د/طه حسين، على هامش السيرة، (مرجع سابق)، ص211

2- د/عبد المجيد البغدادي، فن السيرة الذاتية، (مرجع سابق)، ص 202.

3- المرجع نفسه، ص 198-199-200.

الأحداث التاريخية التي اشترك فيها المؤلف، أو شهدها، أو سمع عنها من معاصريه، و أثرت في مجرى حياته.¹

4- أدب السيرة و اليوميات:

اليوميات كذلك تشبه السيرة في وجه و تختلف عنها في أوجه أخرى، فهي تشبه السيرة في ذكر ما يتعلق بحياة فرد ما، و تختلف اليوميات عن السيرة في عدم تتبع نمط في.2

5- أدب السيرة و الرسائل:

إنّ أغلب الرسائل الشخصية تتناول جوانب محددة من التجربة الشخصية تتناول جوانب محددة من التجربة الشخصية لا تعطي فكرة كاملة عن حياة كاتبها، ولا تدخل كل الرسائل في باب السيرة الذاتية و إنما تقتصر على تلك التي تكشف عن حياة كاتبها و تتبع أحاسيسه في مرحلة معينة من حياته كالرسائل الإخوانية، و تأتي أهمية هذه الرسائل في أنها تحكي كثيرا عن الحياة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، و كاتبها مرتبط بالحاضر ربما أكثر من اليوميات وهي تكشف عن داخل الشخصية أكثر من أية وثيقة أخرى. و يرى لوجون* Philippe Lejeune أن مثل هذه المراسلات الشخصية يمكن أن تكون لها صلة بالسيرة الذاتية عندما تكون في صور خطابات متتالية يكتبها شخص ما لصديق له يصف فيها مراحل حياته المختلفة كرسائل روسو □ j.j.Rousseau التي عدّها لوجون سيرة ذاتية لأن روسو في كتابته لهذه الرسائل كانت لديه الرغبة في توصيلها إلى الجمهور. و هذه إحدى مميزات السيرة الذاتية التي تهدف دائما إلى النشر بصورة أو بأخرى، سريعة أو مؤجلة بعكس الرسائل الأخرى التي تكون عادة موجهة إلى شخص واحد أو مجموعة من الأفراد.³

6- أدب السيرة و الرحلات:

تعد الرحلات لون أدبي يديره صاحبه حول الصور و المشاهدات التي تقع فيها عيناه و هو يقوم برحلته متنقلا بين المدن و المناطق التي تعترض طريقه الى جهته المقصودة، واصفا أحوال أهلها و طبائعهم و عقائدهم و ما تشتهر به بلادهم، و فيه تظهر علاقة صاحب الرحلة بالأحداث لأنه يبرز أثره فيها و أثرها فيه بأسلوب قصصي يعتمد على الوصف من وجهة نظر صاحب الرحلة. و هي بذلك تختلف عن السيرة الذاتية التي يركز صاحبها جل اهتمامه على تصوير حياته الخاصة، و الرحلات أقرب إلى اليوميات منها إلى السيرة الذاتية من حيث الزمن، إذ تعتمد السيرة الذاتية الذي يكون فيه الزمن الحاضر هو المهيمن، فكاتب الرحلات يصور ما تلتقطه عينيه من مشاهد

1-د/عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم الملايين، لبنان، ط2، 1984، ص 246.

2-د/عبد المجيد البغدادي، فن السيرة الذاتية،(مرجع سابق)، ص 200.

3-موقع من الانترنت www.startimes.com السيرة الذاتية المفاهيم و الحدود في ضوء الأجناس الأدبية، خليل شكري

هياس، سورية

*-فيليب لوجون: الإنشائي الفرنسي و المرجع العالمي الأول في دراسة السيرة الذاتية.

□-جان جاك روسو : فيلسوف و كاتب و محلل سياسي سويسري.

و صور و مدى تأثير هذه الصور و المشاهد فيه، في حين تعتمد السيرة الذاتية على السرد الاجتماعي. فالرحلات تمتاز بمحدودية الزمن فحوادثها متعلقة زمنيا بزمن الرحلة، و تكمن علاقة الرحلات بالسيرة الذاتية في مدى اهتمام صاحبها بتصوير الجانب الذاتي من شخصيته و مدى تأثره بما يشاهده فمتى ما كان صاحبها محور الحديث اقتربت من السيرة الذاتية، و متى ما كان موضوعها يدور حول أمور جغرافية ابتعدت عن السيرة الذاتية.¹

III-العرب وتاريخ السير:

احتلت كتابة السير و التراجم عند المؤرخين العرب مرتبة متقدمة باعتبارها المدخل الذي أتاح لكثير من الباحثين معرفة سير الأعلام و ترجمة حياتهم، و من المنصف القول إنّ تأثير المؤرخين العرب كان فعالا في كتابة السير و التراجم، فكانت كتابة السيرة النبوية أول عمل من أعمال التدوين التاريخي يقوم به المؤرخون العرب حين دعت الحاجة إلى معرفة سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم و حياته و أحاديثه، فعمدوا إلى جمع أخبارها و تدوينها. و كان ذلك بداية انشغال العرب في الإسلام بالتاريخ، و يرجح "هير نشو" ما ناله تأريخ العهد الأخير من العصور الوسطى إلى تأثير الحضارة العربية، فقد تماسست النصرانية و الإسلام في أرض فلسطين و ما يجاورها، و في صقلية و جنوب إيطاليا و الأندلس و لم يكن هذا التماس بحال من الأحوال عدائيا، لا في جملته و لا في الأساس نفسه الذي قام عليه، فقد خرج الصليبيون من ديارهم، لقتال العرب المسلمين فإذا بهم يجدون أنفسهم مضطرين لأخذ العلم و المعرفة عنهم، ففي مجال التاريخ الذي نحن بصدد الكلام عليه وحده نجد المسعودي العربي يعرض في كتابه "مروج الذهب" عرض خبير ماهر تاريخ واثنوجرافية غرب آسيا و شمال إفريقيا و شرق أوروبا، و نجد ابن خلكان الدمشقي (1211م) يصنف معجما في التراجم التاريخية جديرا بأن يقربنا إلى تراجم فلوطرخ، ثم نجد شيخ مؤرخي العرب عبد الرحمن ابن خلدون التونسي (6332 1406م)، قد كتب فيما كتب مقدمة لتاريخ عام بلغت من سعة الإحاطة و دقة النظر و عمق الفلسفة و ما جعلها مصدقا لما قاله الأستاذ و المستشرق "فلنت" في حق ذلك العالم التونسي من أنه واضع علم التاريخ. يقول هير نشو: "إن أثر هذه الثقافة العربية انتقل إلى أوروبا من طريق مدارس الأندلس و جنوب إيطاليا فكانت من العوامل القوية في إنهاء العصور الوسطى و انبثاق فجر العصور الحديثة."²

و الواقع أن فضل العرب على علم التاريخ يفوق ما لهم من فضل على العلوم الأخرى التي أضاعت مشعل الحضارة الأوروبية الحديثة، فقد أكمل العرب ما بدأه الإغريق و الرومان في بناء الفكر التاريخي، و ضربوا في شتى فنون التاريخ بسهم وافر، فأرخوا للأمم و الشعوب و الفتوح و المغازي و السير و التراجم و الأقاليم و البلدان، و كانوا أول من كتب التاريخ ووضحت في أذهانهم فكرة الزمان و المكان، فصنفوا العصور و عنوا بتوقيت الواقعة التاريخية بالأيام و الشهور و السنين و هو ما لم يعرفه مؤرخو اليونان و الرومان، و أخذوا في الرواية التاريخية بالإسناد و هي سنة محمودة و جروا عليها في رواية الحدث للمحافظة

على النص، و تحري الحقيقة، و جاء ابن خلدون فربط بين الفرد و المجتمع و الواقعة و البيئة، كما وضع أساس النقد التاريخي و فلسفة التاريخ، و بلغت كتابة السير و التراجم على يد العرب ما لم تبلغه على يد الإغريق و الرومان، فأرخوا للأعلام، و من قبيل ذلك كتاب "ولاية مصر و قضائها" للكندي المتوفى عام 350هـ، و "تاريخ بغداد و أعلامها" لأبي العساكر، من مؤرخي القرن السادس الهجري، و "معجم الأديب" لياقوت الحموي، و "وفيات الأعيان" لابن خلكان من مؤرخي القرن السابع الهجري، و "الدرر الكافية" لشهاب الدين بن حجر العسقلاني، و يؤرخ لأعلام القرن الثامن الهجري، و هي سنة جرى عليها مؤرخو العرب بعد ابن خلكان في الترجمة لأعلام كل عصر على حدة، و تتصل تراجم أعلام العصور قرناً فقرناً بعد ذلك فترى "الضوء اللامع" للسخاوي مترجماً لأعلام القرن التاسع الهجري، و "الكواكب السائرة" للغزي، في تراجم رجال القرن العاشر الهجري، و "خلاصة الأثر" للمحيي في تراجم القرن الحادي عشر و "سلك الدرر" للمراي في تراجم رجال القرن الثاني عشر، و "تراجم أعيان القرن الثالث عشر و أوائل الرابع عشر" لأحمد تيمور.¹

وتختلف كتابة السير عند العرب عنها عند اليونان، فعند العرب لم تحفل بنظرية الرجل العظيم كما عند مؤرخي اليونان و الرومان، ذلك أن البطل في التاريخ العربي الإسلامي لم يكن غير ظاهرة اجتماعية لروح العقيدة الدينية التي سادت المجتمع العرب و الإسلامي، يستمد كل فضائله من تعاليم الشريعة، و قد سوت الشريعة الإسلامية بين الناس إلا في طاعة الله ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾² و ﴿لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالْتَّقْوَىٰ﴾. ثم إن الخوارق و المعجزات و العبقريات الفذة بقيت تسيطر على مشاعر مؤرخي الإغريق و الرومان من تأثير الأساطير القديمة التي حملتهم على تمجيد البطولة و الدور الذي يقوم به الرجل العظيم، و لم يكن لهذا التأثير نظيره في الفكر الإسلامي، فقد حرر الإسلام العقل من آثار الماضي تماماً، و انبعث في ظله مجتمع جديد تحدوه عقيدة جديدة خلت تماماً من تمجيد الفرد إلا بقدر ما يعمل في طاعة الله، فهذا عمر بن الخطاب يتوجه إلى المسلمين في أول خطاب له بعد بيعته لقوله: "أيها الناس، ما أنا إلا رجل منكم و لولا أي كرهت أن أرد أمر خليفة الله ما تقلدت أمركم".

أما السير في كتابة التاريخ الحديث فمازالت تحتل مكاناً مرموقاً تبوأته منذ القدم في رحاب التاريخ، و على الرغم أن البطل في السير لم يعد في نظر مؤرخي العصر الحديث غير ظاهرة اجتماعية مما يخلع عنه ثوب البطولة الذاتية، إلا أنه منذ كتابة السير تطور بما يعوض مظاهر البطولة القديمة بعرض صور التفرد في حياة البطل، و تأثير الظواهر الاجتماعية في حياته، و أثر تكوينه الجسماني في سلوكه و أعماله، و البحث وراء هفواته، و نزواته، أو جوانب حياته الشخصية عليها تفسر لنا عبقريته أو طريفته في التغلب على الصعاب أو اقتحام المخاطر أو علاج المشكلات بما يستهوي القارئ أكثر مما كانت تستهويه مظاهر البطولة البدائية.³

1-د/حسين فوزي النجار، التاريخ و السير،(مرجع سابق)، ص 33-34-35.

2- سورة الحجرات، الآية:13.

3-المرجع نفسه، ص 35-36-37.

«بقيت السيرة و ستبقى أشهر ألوان التاريخ إلى نفس القارئ، و قد لا تكون المتعة الشخصية من أغراض التاريخ، إذ أنّ المؤرخ لا يفكر في إمتاع قارئه بقدر ما يفكر في التجربة الإنسانية فلا يفكر فيما تركه من أصدائها على الحاضر، إلا أنّ المؤرخ مهما أغفل ذلك فإنّ القارئ هو الكفيل بإدراك التجربة و استيعابها و الاستفادة منها في حاضره.»¹

1- تاريخية السيرة: بين التاريخ و السيرة:

من الناس من يدرج السير و التراجم في باب الأدب، و إن كنا لا ننكر صلة الأدب بالتاريخ فحتماً لا ننكر صلة التاريخ بالسير و التراجم، و إذا قلنا في تعريف الأدب أنه صورة النفس الإنسانية في صراعها مع الحياة، فالتاريخ هو صورة الحياة الإنسانية على الأرض. بمعنى أن التاريخ لا يستطيع أن ينفذ إلى أعماق النفس الإنسانية إلاّ من خلال الأحداث و الوقائع و المدونات، و إذا قدر على المؤرخ أن يحكم على النفس الإنسانية التي تسيطر على أحداث التاريخ، أو بمعنى أدق تسيطر على سلوك من يصنعون التاريخ و توجيه نزعاتهم، فإنما هو حكم المتحرج المتحوط الذي يجتهد في الاستقراء، و لا يجزم بالنتائج ما لم تكن حقيقة تساندها الرواية و يدعمها الدليل القاطع بصحتها، كأن يوصف عمل من الأعمال بالدهاء أو الحمق أو الغفلة أو الحكمة، إلى غير ذلك من الصفات التي نسندها إلى صناع التاريخ و ليس لنا سند فيها غير النتائج التي تمحضت عنها أعمالهم من نجاح أو فشل.²

فالتاريخ هو الحقيقة الثابتة المروية، و هو حقيقة ثابتة لأن كل الأسانيد التي يعتمد عليها المؤرخ في بحثه تثبتها و تؤيدها، و هو حقيقة مروية لأن التاريخ لا يعنى بما هو خاف إلاّ عندما يتكشف خفاءه و يتواتره الرواة سندا عن سند حتى يصدق ذكره. و قد يحتاج التاريخ في تدوينه أو روايته إلى الخيال، و لكنه خيال لا يتعدى الأسلوب الإنشائي للرواية التاريخية، أو هو الخيال القادر على امتطاء متن السحاب دون أن يخرج من إطار الحقيقة الصامدة لكل لون من ألوان النقد و التمحيص، و هما ملكة المؤرخ الموهوب الذي يتميز بتلك الحاسة التي تعينه على إدراك الحقيقة بين مجموعة من الروايات الفلقة و الأباطيل، هذا الخيال القادر إنما تتحلى قدرته في بعث الحياة إلى تلك الوثائق و المدونات الجافة الذابلة، و استخلاص الحقيقة من خلال القليل المتناثر من الروايات و الآثار التي سلمت من القدم و الدمار، كعالم الحفريات الذي يرى في بطون حفرياته صورة الحياة في عصورها الخوالي أو أستاذ التاريخ الطبيعي الذي يعيد تركيب هياكل مخلوقات انقرضت في عصور سابقة على التاريخ من هذا القليل المتناثر من عظامها التي سلمت من البلى صدفة و اتفاقاً.³

ولكن خيال المؤرخ غير خيال الأديب الذي يسبح في أجواء سامقة، من صنع نفسه أو إلهام ذاته، غير مكترث بالحقيقة المجردة إلاّ بقدر ما يلهمه الخيال من صور النفس في نزعاتها الأزلية و في لا نهائياتها المتزامية، فخيال المؤرخ أقرب إلى التصور.

1- ينظر د/حسين فوزي النجار، التاريخ و السير، (مرجع سابق)، ص 38.

2- ينظر المرجع نفسه، ص 55.

3- ينظر المرجع نفسه، ص 56.

تصور ما كان على ضوء ما يعرفه عنها، أما خيال الأديب فخلق و إبداع، فمهما اقترب الأديب من صور الحقيقة أو الواقعية فإن واقعيته لا تعدو تصويره للحياة في الصورة التي يترجمها أو الصورة التي هي عليها و إن اتفق مع المؤرخ في أنه ينشد الكمال الإنساني إلا أن الكمال في عرف المؤرخ يتمثل فيما يمكن أن يفيدته جيل من تجربة جيل سابق، أما في عرف الأديب فهو الصورة المثالية التي يتمثل فيها عالما إنسانيا ينشد الخير و الجمال؛ و مهما أوغل الأديب في الواقعية، فإن واقعيته تتعلق بصورة أو عدة صور من صور الحياة يغلب عليها الطابع الدرامي و إلا ضاع منه الإطار الفني للقصة أو المسرحية أو القصيدة؛ لذلك نراه يتخير أبطاله من أناس غير عاديين؛ أوجدتهم القدر فأوغل بهم إلى حيث تختل إرادة الإنسان و تبطل إيجابيته، فهو في الغالب يوجهه إلى غاية ليست ككل الغايات، و لكنها غاية فيها بعض الشذوذ، أو كل الشذوذ عن التواتر المعروف في الحياة و إن كانت تلمس في بعضها جانب من جوانب النفس الإنسانية في إنسان فرد، و إن كانت تمس جوانب أخرى في أناس آخرين؛ إلا أنها تمثل إنسانا حقيقيا في الحياة، و إن مثلته فإنما تمثل نموذجا من الشذوذ الإنساني أو الخروج عن المألوف أو بعبارة أخرى تعبر عن تجربة إنسانية من نوع خاص، فليست هي من التجارب العادية التي تمر في حياة كل فرد؛ و ليست هي من التجارب التي يمارسها الفرد في يومه أو في كل يوم، و لكنها تجربة غير مألوفة تنم عن نزعة أو نزوة، أو صدفة طارئة، أو خطأ في التقدير تحمل طابع الشذوذ انحرافا في نزوات الإنسانية أو نزعاته، و لكن يكفي أنها تجربة غير عادية تمر بحياة إنسان ما، يتناولها الأديب فيجيد تصويرها و التعبير عنها أو محاكاتها كما يرى أرسطو.¹

التاريخ و الأدب متشابهان من حيث الإنشاء الأدبي، فتدوين التاريخ كالكتابة الأدبية في حاجة إلى منتهى بلاغة الكاتب التحرير، و إذا كان للأديب أن ينفعل بالمواقف التي تستثيره فتلهب خياله، و تواري قريحته، و يكون تعبيره عنها مليئا بالحياة جياشا بالعواطف، فإن انفعال المؤرخ بأحداث التاريخ يضفي على كتابة القصة التاريخية حيوية جديدة تبعث فيها الحياة الماضية حافلة بالحركة و النماء، ولا يتأتى ذلك إلا لمن أوتي أسمى مواهب العقل و العاطفة معا.²

و السيرة قصة تاريخية لا تشذ أبدا عما يقيد التاريخ من حقائق تعتمد على الوثائق و المدونات و الأسانيد القاطعة البعيدة عن الكذب و الافتراء، إلا أنها قصة تتعلق بحياة إنسان فرد ترك من الأثر في الحياة ما جذب إليه التاريخ، و أوقفه على باب، و هي أحفل من التاريخ العام بالعواطف الزاخرة الجياشة و الأحاسيس النابضة لأنها تعرض من سيرة الفرد لجوانب حياته المختلفة حتى تتجلى مقومات شخصيته و تبرز معالم حياته لتفصح عن سر نبوغه وتفرد، إذ لا تحفل السير إلا بكل نابغة فريد.

لهذا كانت كتابة السير أمر غير يسير لا يقدر عليها إلا من أربى على قدرة المؤرخ و إحساس الأديب معا، فالسيرة ليست سجلا لحياة فرد من مولده إلى مماته، و لكنها قصة إنسان فذ أو متميز بكل ما ينبض به قلب هذا الإنسان من

1- ينظر د/حسين فوزي النجار، التاريخ و السير، (مرجع سابق)، ص 57، 58.

2- ينظر المرجع نفسه، ص 60.

أحاسيس و عواطف، و ما أصاب عقله من فلتات الذكاء الفذ و الخيال الجامح. وأبرز ما في السيرة هو العمل الكبير الذي قام به صاحبها و الأثر الفعال الذي تركه بعمله في الحياة الإنسانية، و بقدر ما يعظم هذا العمل و يعظم تأثيره، بقدر ما يجفل به التاريخ فيقص خبره و يروي سيرة صاحبه، و هذا العمل هو المحور الكبير الذي يدور حوله كاتب السيرة، و كل ما عداه من جوانب السيرة الأخرى كالنشأة و التربية و الحياة العامة التي يجيهاها صاحب السيرة، ما هي إلاّ منافذ يخرج منها كاتب السيرة إلى الحافظ الذي قاد صاحبه إلى العمل التاريخي. و ما لم يصل كاتب السيرة إلى هذا الحافظ و يتقصى أسبابه و عوامله كانت روايته قصة باهتة لا نبض فيها ولا حياة فهي سرد لحياة قد تبدو عادية إذا جردناها من هذا العمل الكبير الذي يشد التاريخ إلى صاحبه، وإذا قص كاتب السيرة خبر هذا العمل مجردا من الحافظ الذي دفع إليه فكأنه قد جرد الجسم من روحه.¹

فالحافظ هو القوة الباهرة التي تحرك العبقرية و المواهب، فإن لم يكن هناك حافز لا تثمر عبقرية أو موهبة، و قد يقال أن الحافظ جزء من الطبيعة الإنسانية و أنه يتكون في الإنسان منذ نشأته الأولى، و ليس كل حافز يقود إلى عمل تاريخي، و ليس كل حافز يمكن أن تلهمه العبقرية إلى عمل تاريخي، فقد يوجد الحافز و لا توجد العبقرية التي تسنده للقيام بعمل تاريخي و قد توجد العبقرية و لا يوجد الحافز الذي يقود إلى عمل تاريخي، إذ يكون الحافز في هذا المجال قاصرا لا يصل بصاحبه إلى تلك الآفاق الرحبة التي تسع الحياة جميعا و تقود إلى العمل التاريخي، فإذا امتد الحافز إلى تلك الآفاق الرحبة التي تتسع الحياة دون أن تلهمه العبقرية و يقوده الذكاء، كان الفشل رائده و أورث صاحبه مرض العظمة الكاذبة أو الانطواء النفسي. و في الحافظ تتحدد إرادة الإنسان، حيث يستبين امتداد حوافره، فتتحدد إرادته و يتحدد سلوكه وفقا لهذا الامتداد، بل و كثيرا ما تتحدد معالم شخصيته وفقا لذلك أيضا و خاصة بين الساسة و رجال الحكم ممن يفرض عليهم اتصالهم بالجماهير نوعا من السلوك المحدد، و الفضائل المعينة التي تستهوي تلك الجماهير.²

فالبحت عن الحافظ في حياة صاحب السيرة هو مطلب كاتب السيرة حتى يستطيع أن يجلو تلك السيرة على حقيقتها و يعرضها سافرة واضحة القسماط أمام التاريخ.

فغالبا ما تسبق الموهبة الحافز في مجال النشوء و الارتقاء، بمعنى أنّ الموهبة توجد أولا ثم يعقبها الحافز، أو أنّ الحافز هو رد الفعل للموهبة، إذ يتحتم علينا تبعا لذلك أن نتقصى الموهبة في كتابة السيرة قبل أن نتقصى الحافز، إلاّ أنّ الموهبة لا ترد إلى عمل ما لم يدفعها حافز، و الحافز هو القوة الفعالة التي تحرك صاحب الموهبة، و الحركة التي ترد إلى عمل هي التي تعني المؤرخ، و لا تعنيه الموهبة إلاّ من حيث العمل الذي كشف عنها، و هي في النهاية عند المؤرخ وصف لهذا العمل، فيقال شاعر عبقرية، و سياسي محنك و حاكم قادر و قصاص بارع و كاتب لماع و مخترع ماهر... الخ.³

فحين نحدد الحافز أو الموهبة في حياة صاحب السيرة، نبحت عن العوامل التي كونت هذا الحافز فنعود بالسيرة إلى الإطار الذي نشأت فيه، ويتحدد هذا الإطار بالزمان و المكان. فالزمان هو مدى الوقت الذي تمتد فيه حياة أو عمل

1- ينظر د/حسين فوزي النجار، التاريخ و السير، (مرجع سابق)، ص 61، 62.

2- المرجع نفسه، ص 62، 63.

3- المرجع نفسه، ص 64.

من حدود الزمن الكلي، و المكان هو البيئة أو المجتمع الذي امتدت فيه تلك الحياة، و هذا العمل من حدود البيئة العالمية، فحياة الإنسان كغيره من مخلوقات الله تتحدد بزمن معين أيضا، و في هذا الزمان المحدد، و في تلك البيئة المعينة، يثمر الحافز في حياة الفرد عملا تاريخيا و يلج به في رحاب التاريخ، و قد لا يثمر ذلك الحافز مثل ذلك العمل في زمن آخر أو في بيئة أخرى.

2- السيرة التاريخية قبل عصر الضعف :

كما ذكرنا سابقا أنّ بزوغ السيرة كان مع السيرة النبوية و الأمويين، حيث كان تأثير المؤرخين العرب فعالا في كتابة السير فكانت السيرة النبوية أول عمل من أعمال التدوين التاريخي، يقوم به المؤرخون العرب حين دعت الحاجة إلى معرفة سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم و حياته و أحاديثه، فعمدوا إلى جمع أخبارها و تدوينها لكنها بلغت أوجها ازدهارها في العصر العباسي بدليل وفرة كتب السير و التراجم آنذاك نذكر في هذا السياق "السيرة النبوية" و "كتاب الخلفاء" ل ابن هشام البصري محمد بن اسحاق ت(151هـ)، و "الموطأ" لمالك بن أنس ت(176هـ)، و "أخبار الرسل و الملوك" و "كتاب التفسير الكبير" للطبري محمد بن جرير ت(310هـ)... إذ أضحي لكل خليفة من الخلفاء مؤلف يؤرخ له، و بذلك أصبح للكتابة وزن مادي و تأثير بالغ.¹

3- السيرة التاريخية في عصر الضعف:

تميز الأدب في تلك الحقبة بضعف ملحوظ في معناه، و مبناه، و في شعره، و نشره في هذا العصر ويرجع ذلك إلى بيئته المضطربة من اضطراب الحياة السياسية و شعور الناس بخيبة الأمل و فقدان الحرية الشخصية و كذا سوء الأحوال الاقتصادية و الاجتماعية حيث انتشر الفقر و المرض و الإحساس باليأس و الملل ممّا صرف الناس عن الاشتغال بالأدب إلى مهن أخرى، إضافة إلى عدم تشجيع الخلفاء و الحكام و ذوي الجاه للشعراء بالمنح و العطايا كما كان يفعل أسلافهم. و ضياع مجموعة من الكتب و الدواوين خلال هجمات الصليبيين و المغول. و ما زاد الطين بلة إلغاء ديوان الإنشاء الذي جمع كبار الكتّاب و عظماء الرجال في اللغة و الأدب على مر العصور... حيث تأثر أدب هذه الحقبة التاريخية بكافة العوامل السابقة فحاء ضعيفا بشكل عام أما فيما يخص السيرة آنذاك فقد كان: نشر السيرة الشعبية بطوليا خياليا، كان هز القحوف و أمثاله فكاهيا واقعيا. تناولت هذه العجالة أبرز تيارين أدبيين في الشعر و النشر ولكن ذلك لا يعني اقتصار الأدب عليهما، فإلى جانب تيار الشعر الديني و الشعبي، عرف الأدب سائر الأغراض التقليدية للشعر، و بخاصة شعر الحماسة، الذي عبّر عن وجدان الإنسان العربي و مشاعره اتجاه الأحداث الجسام ممثلة في تيارات الحروب الصليبية و الغزو المغولي. و لكن الشعر العربي لم يستطع، لضعفه، أن ينهض بعبء التعبير عن هذه الأحداث، كما أن النشر التقليدي ظل موجودا إلى جانب النشر الشعبي، إذا ظلت الخطابة و المقامة و الرسالة قائمة في هذا العصر في لغة مسجوعه مصنوعة.

1- د/ حسين فوزي النجار، التاريخ و السير، (مرجع سابق)، ص 31 .

2- منتدى <http://www.startimes.com/?t=8109470> (مظاهر الضعف الأدبي في عصر الانحطاط).

ولكن ينبغي أن نشير هنا و نحن بصدد الحديث عن النثر، إلى حقيقتين مهمتين:

الأولى: ازدهار في السيرة الذاتية و الرحلة.

والثانية: أن كتب التاريخ و الجغرافيا لم تخل مواضع منها من النثر الإبداعي الوصفي الذي ينبض بالتحربة و قوة

التأثير وجمال الصياغة، مما يدخلها في صميم النثر الإبداعي.

و تعد هذه المواضع مع ما ذكرناه من كتب السيرة الذاتية و الرحلة، نقاط ضوء ساطع في نثر هذا العصر الذي خيمت عليه الصنعة و الضعف.¹

IV- خصائص فن السيرة:

السيرة فن من الفنون النثرية، التي تمتاز بمجموعة من الخصائص، تميزها عن بقية الفنون النثرية الأخرى، لذلك تقتضي في كتابتها وجود تلك الخصائص.

و من مقتضيات كتابة السيرة التمحيص الدقيق، و الأمانة الموضوعية، و تماسك الأحداث و تواصلها و متابعتها لارتباطها بالتاريخ الحقيقي للسيرة، و عدم تسخير الأحكام و الأحداث و ملايسات الحياة لعاطفة الكاتب، لأنّ العاطفة تحمل السيرة على الانحراف عن وضعها الطبيعي، فهذا الأمر يتطلب الدقة في التحقيق العلمي و رهافة في الحس و خيالاً محدوداً، لأنّ الإفراط في الخيال يجعل من السيرة قصة منمقة ممتعة، ولكن لا بأس من وضع شيء من الحرارة في الحوار الذي يجريه في السيرة كي يثير القارئ، و يشوقه و لكن دون تزوير و تحريف للحقائق، وإذا كانت السيرة تتطلب نضجاً في مناهج الدرس و التحليل، و دقة في البحث و التقصي، فإنّ كتابة السيرة تتطلب من صاحبها الجرأة و الصراحة المتناهيتين، و الصدق و الأمانة في الحديث عن دخائل نفسه و تجارب حياته، و هذه الخصوصيات يجب أن تكون في مادة جديرة بالمعالجة.²

V- السيرة الشعبية:

السيرة الشعبية: هي قصص مستقاة من التراث العربي. تمجد فيها الأخلاق العربية الأصيلة كقوة العربي وعزته وشهامته وتتكبر فيها الأخلاق السيئة كالخيانة والغدر. وقد درجت العادة على أن يروي الحكواتي في مكان عام يسمى القهوة هذه السير بما اتصف به من حسن الإلقاء واستثارة المشاعر. و يسمى الحكواتي أيضاً بالمحدث.³

تعد السيرة الشعبية العربية الأقرب إلى ذاكرة الناس، وتتجلى فيها الحكمة الشعبية بشكل درامي، وفيها يلعب الخيال الشعبي دوراً فاعلاً في تصوير الحقيقة التاريخية حيث يتم تطويع الفن القصصي لمقتضيات الوجدان الجمعي.. وهي نوع أدبي قصصي طويل يستمد قوته من التاريخ، حيث تشير السيرة إلى شخصيات معروفة في التاريخ العربي والإسلامي.

1 (http://www.startimes.com/?t=8109470 -مظاهر الضعف الأدبي في عصر الانحطاط) منتدى،

2- د/فواز الشعار: الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 176، 177.

3- ادوارد وليم لين، المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم، تعريب عدلي طاهر نور، القاهرة: دار النشر للجامعات المصرية،

1975، ط2، ص 351-352.

والسيرة الشعبية نوع أدبي قصصي طويل، من أنواع القصص في الأدب الشعبي العربي. وفيه يتابع القاص مراحل حياة البطل القصصي الرئيسي، الذي تُنسب إليه السيرة عادة، ويعرض القاص وقائع اشتباك حياة هذا البطل مع الأبطال الآخرين المناوئين وتلاقيها مع الموالين، كما يبين تداخلها مع المواقف المصيرية في حياة قومه وحروبهم مع الآخرين. ويتم سرد السيرة الشعبية نثرًا، يتخلله الشعر في المواقف المتوترة قصصيًا، وإن كانت هناك روايات شعرية كاملة لبعض السير الشعبية.

بالنسبة لوسم السيرة الشعبية بمسمى الشعبية، ونسبتها إلى الشعب، فهو لتحديد هويتها وطبيعتها النوعية، ولتمييزها عن السير المكتوبة الوفيرة في التراث العربي، سواء أكانت هذه السير مكتوبة باللغة الفصحى أم باللهجات العامية. فكتابات السيرة كما وردت في التراث العربي ألفها أفراد يعبرون فيها عن ذواتهم، ويجسدون بها رؤيتهم الفردية. والواقع أن معيار شعبية السيرة ليس المستوى اللغوي الذي تُؤدّى به، فصيحًا كان أم عاميًا، وإنما المقوم الذي تتأسس عليه شعبية السيرة هو جمعيتها. والجمعية هنا تعني أن السيرة من إنتاج الجماعة الشعبية، وأن أبناء هذه الجماعة يتواترون السيرة، ويتداولون روايتها، ويتبنونها باعتبارها معبرة عن مثلهم وقيمهم ورؤاهم الجمعية. ومن ثمّ، تكون السيرة الشعبية مشاعًا مشتركًا بينهم، يتملكونها جميعًا. ولا مثار هنا لقضية جهل المؤلف أو العلم به، فالسيرة الشعبية عندما تتبناها الجماعة، وتتواتر روايتها، تكون قد أصبحت من إنشائها، ويتم إقرار صياغتها بوساطة الإبداع الجمعي.

ومن أشهر السير الشعبية:

سيرة عنتر بن شداد، السيرة الهلالية أو سيرة بنو هلال، سيرة الملك سيف بن ذي يزن، سيرة الملك الظاهر بيبرس، سيرة الأمير حمزة البهلوان، سيرة دلمه (ذات الهمة)، سيرة علي الزبيق ...



الفصل الثاني : سيرة الظاهر بيبرس

I- التعريف بسيرة الظاهر بيبرس

II- شعبية سيرة الظاهر بيبرس

I- التعريف بسيرة الظاهر بيبرس:

سيرة الظاهر بيبرس ⦿ وتعرف أيضاً بالسيرة الظاهرية، هي قصة شعبية طويلة تروي حياة السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري*، وأعماله البطولية التي قام بها ذوداً عن الإسلام وتصدياً لأعدائه من الصليبيين والمغول. من المعتقد أن الملحمة التي تحتلظ فيها الوقائع التاريخية بالخيال قد كتبت بالقاهرة في العصر المملوكي، وتطورت ونمت عبر السنين إلى أن أخذت شكلها النهائي في بدايات العصر العثماني.¹

1- شخصية الظاهر بيبرس (بين الشخصية التاريخية و الشخصية الشعبية):

الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري(620-676هـ): و هو الرابع من ملوك الترك و أولادهم بالديار المصرية،

تسلطن بعد قتل المظفر قطز بالقرين، كما تقدم، و قد أخذ المملكة باليد من غير حرب و لا قتال، تسلطن يوم السبت خامس عشر ذي القعدة سنة 658، أصله تركي الجنس، ولد ببلاد قبحاق سنة 620هـ، خطفه المغول و هو طفل و اشتراه شخص يدعى "العماد الصايغ"، ثم بيع لأمير حماة "علاء الدين أيدكين المعروف بالبندقدار، ثم أرسل إلى مصر حيث انضم لمماليك السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب الذي جعله من جملة المماليك البحرية.²

فشخصية السلطان الظاهر بيبرس التاريخية تتمثل في المواجهة المريرة بينه و بين المغول الذين ظلوا، رغم هزيمتهم القاسية في عين جالوت، يشكلون مصدر إتلاف للدولة المملوكية، بحيث لم تخل سنة ما بين 670-675هـ إلا و كان لهم نصيب في صنع أحداثها، لقد هاجموا حرّان سنة 670هـ و حرّبوها و دمروها تدميراً كاملاً لكن السلطان بيبرس ظفر بهم في السنة ذاتها على نهر الفرات، حيث صنع جسراً عبر عليه العسكر و من بسالة تجلّت باقتحامه النهر متقدماً الجند... ثم عادو سنة 674هـ و نزلوا على قلعة البيرة لكنهم نظراً للمقاومة الضاربة التي لقوها من حامية القلعة، و بسبب وصول الأخبار بتوجه السلطان نحوهم، ولو الأدبار راجعين من حيث أتوا و صمم السلطان على غزو الروم و مواجهة المغول في عقر دارهم حيث استعد بيبرس و خرج من الديار المصرية سنة 675هـ قاصداً بلاد الروم، ثم تحصل المعركة الفاصلة بين الفريقين في سهل "هوفي" من صحراء البلستين و التي انتهت بهزيمة المغول بعد مقتل الكثيرين منهم في ساحة القتال، الأمر الذي سهل دخول السلطان إلى قيصرية عاصمة بلاد الروم و جلوسه بالتالي على تختها و اطلاق الدعوات له في المآذن و ضرب السكة باسمه.³

*-البندقداري: نسبة إلى البندقدار وهو لفظ فارسي مركب معناه حامل غرارة أي كيس البندق خلف الأمير أو السلطان وقد سمي الظاهر بيبرس باسم البندقداري لأنه كان في أول أمره مملوكاً للأمير علاء الدين أيدكين البندقدار ثم انتقل إلى الملك الصالح أيوب وصار من مماليكه البحرية.

-بيبرس: اسم تركي مؤلف من "بي" أي أمير و "برس" أي فهد

1-الموسوعة الثقافية، ص 577، 578.

2- ينظر د/محمد بن أحمد بن اياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ت محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1402-1982، ج1، ص 308، 309.

3- د/عز الدين محمد بن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ت أحمد حطيظ، منشورات المعهد الألماني للأبحاث، سلسلة النشرات الإسلامية، بيروت، 1983، ط1، ص21.

هذا على جبهة المغول، أما على بقية الجبهات فهناك حدثين هامين:

الأول: غزوة سيس التي قام بها السلطان بيبرس سنة 673هـ لتأديب الأرمن و التي عاد منها محملا بالغنائم الوافرة، و الثاني: تجلّي بالحملة التي وجهها ضد بلاد النوبة: حول هذه الحملة نطلع من خلال قراءتنا للمخطوط على أن السلطان كان يتحين الفرص للاستيلاء على هذه البلاد بعد سلسلة من الأعمال العدوانية التي نفذها صاحبها داود ضد البلاد الإسلامية المجاورة، كالغارة التي قام بها على ثغر عيذاب سنة 671هـ و غير ذلك. و سنحت الفرصة المناسبة عندما وقع الخلاف بين داود المذكور و أحد أنسبائه الذي لجأ إلى السلطان طلبا العون و المؤازرة، فجرد هذا الأخير سنة 674هـ، حملة إلى بلاد النوبة هزمت داود و عادت به أسيرا مع أفراد عائلته، و من ذلك الحين خضعت تلك البلاد للسلطان. كما نجد أن بيبرس لم يعتمد في رسم علاقاته الخارجية على القوة الضاربة فحسب، بل إنه استعمل سلاحا لا يقل خطورة عن السلاح العسكري تمثل بإقامة العلاقات الدبلوماسية مع المغول من جهة و مع الفرنج من جهة أخرى.¹

بالنسبة للمغول عمل بيبرس على توسيع شقة الخلاف الذي كان مستحكما فيما بينهم، فقد تحالف مع بركة خان زعيم القبيلة الذهبية أو مغول القفجاق الذي اعتنق الإسلام، فعزز علاقاته معه و بادلته المبعوثين و الهدايا، ولاشك أنّ هذا الحلف كان موجها ضد عدوهم المشترك المتمثل لدولة ايلخانات فارس التي كان يحكمها هولوكو و أولاده. وقد اتّبع بيبرس في حربه مع المغول أساليب المكر و الخداع البعيدة النظر، فهو في الوقت الذي عاهد فيه أبناء بركة خان على تحالفه معهم ضد أبغا لقاء تنازلهم عن جميع ما اغتصبه التتار من المسلمين، فإنّه لم يتورع عن محاولة إقامة علاقات حميمة مع أبغا نفسه، فلم يتوان عن قبول وساطة سعى بها بعض أعوان هذا الأخير بل إنه أحسن استقبال رسل أبغا و أرسل على الفور مبعوثين إلى أبغا علّه يحقق بوسائل السلم ما لم يسهل تحقيقه بالقوة. لكن هذه المحاولة التوفيقية باءت بالفشل، و يعود السبب في ذلك إلى تشدد السلطان، إذ أنّه اشتراط على أبغا أن يعيد له ما بيده من بلاد المسلمين، و لم يكف السلطان بيبرس عن السعي لإضعاف أبغا، فرغم أنه كان يعرف ما يدور في خلد البرواناة، نائب السلطة في بلاد الروم من طموح بالاستيلاء على الحكم و التفرد بالسلطة، فقد مالاه السلطان و بادلته الرسائل مشجعا إياه على اتّخاذ المواقف المناهضة للمغول، باذلا له الوعد بالدعم و المساعدة، و لم يكتف بذلك بل إنه راسل سرا كبار الأمراء الروميين داعيا إياهم إلى الجهاد في سبيل الله محرضا إياهم على التمرد و الوقوف بوجه أبغا، وقد كان لتلك الرسائل صدى إيجابي لدى معظم هؤلاء، فوفد عليه العديد منهم و قاتلوا إلى جانبه ضد المغول، كما حالف السلطان جماعات التركمان بعد أن أعقد عليهم العطايا و الوعود فانقلب هؤلاء إلى ألد أعداء للمغول.²

أما بالنسبة للفرنج فقد أقام السلطان بيبرس صلة صداقة مع الفرنج عامة و الإيطاليين خاصة، وكانت هناك علاقة طيبة بين السلطان و صاحب إشبيلية والتي تجلت بتبادل المبعوثين المحملين بالهدايا السنوية و وفود رسل جنوا على السلطان بين الحين

1-د/عز الدين بن ابراهيم بن شداد، تاريخ الملك الظاهر، (مرجع سابق)، ص 21، 22.

2-المرجع نفسه، ص 22.

والآخر، وكذلك رسل الامبراطور البيزنطي... كل ذلك جعل السلطان بيبرس مهيب الجانب داخل المملكة و خارجها، فبدى و كأنه أقوى ملك بين ملوك عصره.

أما فيما يخص شخصيته الشعبية فقد تمثلت في توطيد بيبرس دعائم حكمه باستيلائه على آخر معاقل الإسماعيليين ومعاقبته لجيرانه النوبيين الذين كانوا يتحرشون برعاياه بين الحين و الآخر، و عفوه عن أمراء كان قد سجنهم بسبب معارضتهم ومحاولاتهم الحادة للتدخل في شؤون الدولة و الاستقواء عليها(الإفراج عن الدمياطي و سنجر الغتمي و بكتوت) ومن تأديبه للولاة المتمردين(كما فعل مع ابن عجلون) ومن تودده لمن لا يسهل الإيقاع بهم من كبار الأمراء أمثال الأمير قلاوون الذي قربه منه باختياره ابنته زوجة لولده الملك السعيد، ومحاولاته الحادة لتدعيم زعامته للعالم الاسلامي المعروف في ذلك الحين، تلك الزعامة التي اكتسبها عبر موافقه المشهورة في سبيل الإسلام، حيث بادر إلى احياء الخلافة العباسية في القاهرة سنة 659هـ/1261م بعد سقوطها على يد هولاءكو في بغداد، و حرم الخمر مراعاة منه لشعور المسلمين (وقد كان هذا التحريم السبب في شنق الطوايش صدر الباز). و عاقب أقرب المقربين إليه بالسجن حتى الموت(الشيخ خضر) لكونه اقرتف أعمالا تدينها الشريعة و الأخلاق، كما أنه بادر إلى بناء الجوامع و ترميمها(بناء جامع بدير الطين ظاهر مصر)، وأمّ مكة المكرمة حاجا مهتما بكسوة كعبتها، مقيما لها الاحتفالات السنوية التي تليق بالمناسبة...¹

كل ذلك جعل السلطان الملك الظاهر بيبرس في مرتبة أعلى من سلاطين البلاد الاسلامية الأخرى. فقد أفلح السلطان في اكتساب محبة الأهلين واستمالتهم إليه، بحيث أنه تراجع عن ضريبة فرضها عندما علم بامتعض الرعية منها. كما أنه كان دائم السهر على أمن البلاد و سلامتها، وقد كان السلطان في حركة دائمة متنقلا بين شطري المملكة، مرة في موكب ظاهر وثانية على خيل البريد و أخرى متخفيا ليطلع عن كثر على أحوال النواب و الولاة، وبذلك ضمن استقرار مملكته، كما نجد لبيبرس هوايات مختلفة كلعبة القبق، ورحلات الصيد و التنزه في منطقة الأهرام و البحيرات... كل ذلك يجعلنا نتعرف إلى السلطان في حياته العامة و الخاصة.²

2- منتج النص : بين الكاتب المعلوم و الكاتب المجهول:

أ-الكاتب المعلوم: المؤرخ محي الدين بن عبد الظاهر:

يعد محي الدين عبدالله بن عبد الظاهر، من أهم مؤرخي بواكير العصر المملوكي في مصر و بلاد الشام، فقد أَلّف كتباً في سير سلاطينها، أولها: سيرة الملك الظاهر بيبرس و التي هي موضوع البحث، وثانيهما: سيرة الملك المنصور قلاوون، وثالثهما: سيرة الملك الأشرف خليل بن قلاوون، كما كانت له مؤلفات أخرى تتعلق باهتماماته بديون الإنشاء منها كتاب عن الحمام و أصنافه، وكتاب عن خطط القاهرة، الذي نجد له اقتباسات عديدة في المؤلفات التي تحدثت عن خطط القاهرة.³

1-د/عز الدين بن ابراهيم بن شداد، تاريخ الملك الظاهر، (مرجع سابق)، ص20.

2- المرجع نفسه، ص20.

3-د/صفوان طه حسن الناصر، سيرة الملك الظاهر بيبرس محي الدين بن عبد الظاهر-دراسة نقدية في تحقيق الكتاب- قسم

التاريخ لكلية التربية، جامعة الموصل، مجلة التربية والعلم، م17، ع3، سنة 2010، ص80.

أما سيرة الملك الظاهر بيبرس، فقد فصل ابن عبد الظاهر كثيرا عن حياة بيبرس و أعماله، وما رافق مدة حكمه من أحداث عامة اعتقد ابن عبد الظاهر أنها لا بد أن تثبت، وقد قام بتحقيق هذه السيرة اثنين من المحققين أولهما: السيدة فاطمة صديقي كجزء من متطلبات نيلها لشهادة الدكتوراه في لندن، عن مخطوط في المتحف البريطاني، والثاني: الدكتور عبد العزيز الخويطر، كجزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في لندن، عن مخطوط في المتحف البريطاني معتمدا على مخطوط لندن و مخطوط مكتبة الفاتح في أيا صوفيا بتركيا.

حياته: هو أبو الفضل محي الدين عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن علي بن نجدة السروجي السعدي الجذامي المصري، ولد في القاهرة سنة (620هـ/1223م)، كان والده رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان شيخ القراء في القاهرة وقد انتهت إليه رئاسة هذا الفن في زمانه، فترى محي الدين في كنف والده، ونال من العلم و المعرفة قدرا كبيرا، إذ برع في الفقه و الأدب والنحو و التاريخ، وتقلبت به الأحوال حتى أصبح كاتباً في ديوان الإنشاء في القاهرة، استمع عن ابن الحميري، وابن المقير، وجعفر الحمداي، وعبدالله بن اسماعيل بن رمضان، وابن الأستاذ قاضي حلب، ويوسف بن المحيل، كما أجازته العديد من العلماء وهو كبير في السن، منهم إبراهيم بن الخير، وأبو المنى، وعبد العزيز الزبيدي.¹

ومن الوظائف التي تولها أنه التحق بديوان الإنشاء في عهد الملك المظفر قطز، تقرب ابن عبد الظاهر من الملك الظاهر بيبرس عندما نفذ رغبة الملك الظاهر في نظم نسب للخليفة العباسي الحاكم بأمر الله، ثم كتب رسالة إلى الملك المغولي بركة خان ملك مغول القفجاق، وزاده الملك الظاهر في الرفعة حتى أصبح كاتبه الخاص حتى وفاته.

واستمر محي الدين من كبار كتاب ديوان الإنشاء في مدة حكم قلاوون و الأشرف خليل، وعلى الرغم من تولي ابنه رئاسة ذلك الديوان، وقد توفي ابنه فتح الدين محمد سنة (690هـ/1191م)، وأسند بعد ذلك العمل في ديوان الإنشاء إلى علاء الدين علي بن محمد بن محي الدين بن عبد الظاهر، توفي محي الدين بن عبد الظاهر في دمشق سنة (692هـ/1293م)، حيث صنف عدة كتب منها: 1- الروضة البهية في خطط القاهرة المعزية.

2- تائم الحمائم.

3- تشريف الأيام و العصور في سيرة الملك المنصور.

4- الألفاظ الخفية في السيرة الاشرفية.

5- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر.

وهذا العمل الأخير نسب إلى محي الدين بن عبد الظاهر على أنه السيرة الأصلية للملك الظاهر الذي سبق وأن أشرنا إليه.²

1- د/صفوان طه حسن الناصر، سيرة الملك الظاهر بيبرس لمحي الدين بن عبد الظاهر، (مرجع سابق)، ص 82.

2- المرجع نفسه، ص 83.

ب-الكاتب المجهول: محمد بن أحمد بن اياس أبو البركات الحنفي:

ابن اياس من أشهر المؤرخين المصريين في العصور الوسطى، إذ يمثل آخر عمالقة المؤرخين في العصر المملوكي، وتأتي شهرته من كونه شهد انخيار الدولة المملوكية المصرية وتحول مصر إلى ولاية عثمانية عام 922هـ/1517م. ولد ابن اياس سنة (855هـ/1448م)، وتوفي سنة(930هـ/1523م)، أي عاش 75 عاما هجرية، عاش متفرغا للتاريخ والقراءة والدراسة والكتابة، لم يتزوج ولم يكن له أولاد، ولم يفارق القاهرة سوى مرة واحدة حين حج سنة 882هـ. حيث أعانه على التفرغ للتأريخ مجالسه اليومية التي كان يحضرها عند شيوخه، ثم التي كان يعقدها في بيته للسمير فيما بعد، حيث كان يحكي نوادير التاريخ ويزوده الرفاق بالأخبار اليومية عن السلطان والدولة والشارع المصري وقتها، بالإضافة إلى علاقاته مع كبار الدولة..¹

بدأ ابن اياس كتابة تاريخه المشهور "بدائع الزهور في وقائع الدهور" سنة 901هـ، وفرغ من تأليفه سنة 928هـ، ومات بعدها بعامين أي 930هـ، أي أنه حين بدأ كتابة تاريخه "بدائع الزهور" كان عمره يقترب من الخمسين، أي وصل إلى قمة نضجه الفكري و العقلي، وفي هذا العام سنة 901هـ كانت بداية الاضطراب في الدولة المملوكية، لأنه في نفس العام مات واحد من أعظم السلاطين المماليك، وهو السلطان قايتباي الذي حكم الدولة منذ سنة 872هـ إلى موته 901هـ، وكان ابن اياس في العشرين من عمره حين تولى السلطان قايتباي حكم الدولة، وكان واضحا من تاريخه بدائع الزهور أنه كان يدون ملاحظات عن مشاهداته لعصر السلطان قايتباي، ثم بدأ في التدوين المنتظم بدءا من 901هـ في كتابه "بدائع الزهور في وقائع الدهور" يحكي في التاريخ منذ بدايته إلى عصره. ويقع هذا الكتاب في ستة مجلدات، إلا أنه يمكن تقسيمه إلى قسمين كبيرين: القسم الأول الذي كان ينقل فيه ابن اياس عن المؤرخين السابقين، وهو التاريخ الذي يعتبر ماضيا بالنسبة إليه ولم يشهده، ثم القسم الثاني وهو الذي كان فيه ابن اياس شاهدا على عصره، يكتب ما يراه وما يسمعه.

وعلى أساس هذا التقسيم فإن القسم الأول الذي ينقل فيه ابن اياس عن مؤلفين سابقين يقع في الأجزاء الثلاثة الأولى من تاريخ "بدائع الزهور"، الجزء الأول في مجلدين كبيرين+ الجزء الثاني الذي ينتهي منه حتى سلطنة الظاهر تمربغا الذي تولى الحكم في مصر 58 يوما فقط و تولى مكانه السلطان قايتباي سنة 872هـ، وبدءا من سلطنة قايتباي يوم الاثنين 6 رجب سنة 872 يبدأ الجزء الثالث من تاريخ ابن اياس، ويبدأ معه ابن اياس وهو يؤرخ من واقع المشاهدة و المعاصرة وليس بالنقل عن السابقين، ويؤرخ الجزء الثالث ما بين عام 872 إلى 906هـ.²

ويشترك مع ابن اياس في التأريخ لهذه الفترة اعلام المؤرخين منهم المؤرخ أبو المحاسن بن تغزي بردي، القاضي المؤرخ علي بن داود الصيرفي، الفقيه السخاوي، الفقيه المشهور جلال الدين السيوطي..

1-موقع من الانترنت-www.ahl-alquran.com/arabic/printage.php?doc.type=60&doc-id=1042

ابن اياس مؤرخا.

2-نفسه.

3- مصادر النص السيري: بين المادة التاريخية والنقل الواقعي المباشر:

هناك العديد من المصادر التاريخية القديمة و الحديثة، والمعاصرة منها للمماليك وغير المعاصرة لهم قد تناولت حياة سلاطين المماليك البحرية بصفة عامة و سيرة الملك الظاهر بيبرس بصفة خاصة ومن بين هذه المصادر نذكر:

أ-المادة التاريخية:

1) كتاب "النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة" لابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن جاء فيه ذكر لسيرة الملك الظاهر بيبرس حيث يقول: ذكر سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقداري على مصر، السلطان الملك القاهر ثم الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس بن عبد الله البندقداري الصالح النجمي الأيوبي التركي سلطان الديار المصرية و البلاد الشامية والأقطار الحجازية، وهو الرابع من ملوك الترك، مولده في حدود العشرين وستمائة بصحراء القبجاق، والقبجاء قبيلة عظيمة في الترك) وهو بكسر القاف وسكون الباء ثانية الحروف وفتح الجيم ثم ألف وقاف ساكنة) وبيبرس) بكسر الباء الموحدة ثانية الحروف وسكون الباء المثناة من تحتها ثم فتح الباء الموحدة و سكون الراء والسين المهملتين) ومعناه بالتركية: أمير فهد. انتهى.¹ وفي هذا الكتاب يمدح الشاعر شهاب الدين محمود الظاهر بيبرس، مخلدا انتصاره على جيش متحالف من الروم والمغول في معركة وقعت على ضفاف نهر جيحان (في الأناضول) في قصيدة طويلة مطلعها:

عزائم حاذتها الرياح فأصبحت

سرت من حمى مصر إلى الروم فاحتوت

ومّا جاء فيها مادحا الملك الظاهر بيبرس:

ملك يزود الدين من عزماته

ملك لأبكار الأقاليم نحوه

من التُّرك أما في المغاني فإثم

بركن له الفتح المبينُ دعائم

حنين كذا تهوى الكرام الكرائم

شموس وأما في الوغى فضرغام²

2) "قيام دولة المماليك الأولى في مصر و الشام" للدكتور أحمد مختار العبادي حيث جاء في الهامش ما يلي: بلاد القبجاق أو القبجاق أو القبشاق، إقليم بحوض نهر الفولجا بالجنوب الشرقي من روسيا الحالية وشمال البحر الأسود والقوقاز، وأهلها من الترك، وكانوا أهل حل وترحال على عادة أهل البدو، وفي ضيق من العيش، وبلادهم كانت فرضة (سوقا) عظيمة للرياق (المماليك) الترك.³

3) كتاب "الظاهر بيبرس" من سلسلة أعلام العرب للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور (أستاذ تاريخ العصور الوسطى في كلية الآداب، جامعة القاهرة حيث يذكر: «وعلى ذلك لا ننتظر اجماعا على رواية واحدة عن نشأة بيبرس في كتب التاريخ المعاصرة له، وإن كان أغلب هذه الكتب قد اتفقت على امر واحد هو أنّه تركي الجنس، من مواليد القبجاق-في جنوب روسيا-

1-د/جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، ج7، ص94.

2-المرجع نفسه ، ص170-171-172.

3-د/أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986، ص73.

وأنه قضى في تلك البلاد الدور الأول من طفولته حتى أغار عليها التتار حوالي 1242م، وعندئذ كان بيبرس من حملة الأسرى فاشتراه أحد تجار الرقيق في سيواس.¹

(4) أيضا كتاب "حياة الملك الظاهر بيبرس الأسد الضاري قاهر التتار و مدّمر الصليبيين" لمحمود شلبي حيث جاء فيه: هو ركن الدين بيبرس البندقداري وقد لقب بالظاهر، ولي عام 658هـ، وهو أهم ملوك الدولة البحرية، وأصله من أرض القبحاق أسر ويبيع، واشتراه صغير السن رجل يدعى العماد الصائغ، فباعه للأمير علاء الدين أيدكين البندقداري. ثم انتقل ملكه إلى الملك الصالح نجم الدين الأيوبي فنسب لذلك إليهما وقد أعتقه الصالح وضمّه إلى مماليكه البحرية و رباه معهم فشبّ شجاعا باسلا لا يهاب الموت.²

(5) كتاب " السلوك لمعرفة دول الملوك" لتقي الدين أبي العباس العبيدي المقرئ ومّا جاء فيه: أنّ بيبرس تركي الجنس، اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وترقى في خدمته واستفاد من أخلاقه، فلما مات الملك الصالح، قام بيبرس على خدمة ابنه الملك المعظم تورنشا إلى أن قتل، فلم يزل يترقى إلى أن قتل الفارس أقطاي، فخرج من القاهرة و تنقل من بلاد الشام ثم عاد إلى مصر، وخرج مع الملك المظفر قطز إلى قتال التتار...³

ب- النقل الواقعي المباشر:

- (1) كتاب الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر لمحي الدين بن عبد الظاهر حيث جاء فيه مايلي: «هذا السلطان، الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس بن عبد الله الصالح النجمي، تركي الجنس، انتقلت به إلى السعادة همته العالية، ووصلته إلى المواطن الشامية، فاختص بالسلطان الشهيد الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن عبد الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب-رحمهم الله أجمعين-...»⁴
- (2) كتاب "حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية لشافع بن علي، بحيث أنّ كتابة شافع عن عهد بيبرس ماهي إلى مختصر لكتاب محي الدين بن عبد الظاهر عن هذا السلطان وقد سمى شافع مختصره هذا المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، ولا يعرف التاريخ الذي بدأ فيه شافع اختصار السيرة، إلاّ أنّه لم يظهر إلاّ بعد وفاة محي الدين، وقد أكمله سنة 717هـ-1317م كما ذكر في آخره.⁵

1-د/سعيد عبد الفتاح عاشور، الظاهر بيبرس، كلية الآداب، جامعة القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص18.

2-د/محمود شلبي، حياة الملك الظاهر بيبرس، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ-1992م، ص32.

3- د/تقي الدين أبي العباس العبيدي المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ت. محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1418هـ-1998م، ص520.

4- محي الدين بن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ط1، 1396هـ-1976م، ص46، 47.

5-د/شافع بن علي بن عباس، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، ت. عبد العزيز بن عبد الله الخويطر، الرياض، ط2، 1410هـ-1989م، ص26.

3) كتاب "تاريخ الملك الظاهر بيبرس" للدكتور عز الدين محمد بن علي بن شداد، حيث يجبرنا فيه المؤرخ: أن الظاهر بيبرس كان في حركة دائمة، ليطلع عن كتب عن أحوال النواب والولاة، كما رصد لنا سعي السلطان الجاد لتدعيم زعامته للعالم الإسلامي المعروف في ذلك الحين، ويطلعنا على جوانب أساسية أخرى في سياسة السلطان الداخلية وحكمته في إدارة شؤون البلاد ويطلعنا على هوايات بيبرس المختلفة...¹

II-شعرية سيرة الظاهر بيبرس:

1-مضمون سيرة الظاهر بيبرس:

هذه السيرة تتحدث عن السلطان بيبرس وتمهد بالحديث عن العصر الذي ولد فيه، بدءاً من خيانة الوزير العلقمي للخليفة العباسي واستقدام "هولاكو" ودفاع صلاح الدين الأيوبي عن الخليفة العباسي وقتل العلقمي وإقطاع الخليفة لصلاح الدين أرض الشام ومصر ليحكمها جزاءً على حمايته من هولاكو، ومساندته للدولة حتى طرد العدو من أراضيها.

ثم تنتقل السيرة بنا سراعاً إلى عصر نجم الدين أيوب آخر أحفاد صلاح الدين في حكم مصر، وزواجه من شجرة الدر بنت الخليفة، وتصفه بأنه العارف بالله الذي يعرف ما سيكون في كثير من الأحيان، وقد اشترى ممالك لحماية الدولة من الأعداء، النصارى والتتر، وكان فيهم غلام يدعى بيبرس. وتصور السيرة تغلغل النصارى في ديوانه وفي المجتمع، وادعاءهم الإسلام، وكان منهم القاضي صلاح الدين الذي كان يسمى جوان، وكان أليك أحد ممالك السلطان يتعاون معه وهو يظنه قاضي الإسلام، وكان جوان يوهمه أن بيبرس جاء من بلاد العجم دسياسة على المسلمين، ولهذا راحا يسعيان للإيقاع به عند السلطان نجم الدين أيوب، ولكن الأيام كانت تكشف براءته ومقدرته الحربية والإدارية معاً، وحرصه على مصلحة الدولة، وحبه للناس، وقضائه على المفسدين، وقد حاول نجم الدين أيوب أن يسند إليه السلطنة بعد وفاته ولكنه امتنع فلما قتل "قطز" على يد بطريق نصراني، اختير بيبرس للسلطنة، فحكم بالعدل، ونشط للفتوحات، وكان يساعده في أعماله الداخلية والخارجية رجال مخلصون منهم عثمان، وكان قد هدر دمه لفساده ثم تاب على يده وحسنت توبته فأخلص له، وكانت له فراسة صادقة حسبما صورته السيرة وقد حمت هذه بيبرس من مهالك عديدة. وكان مع بيبرس أيضاً رجال من الفداوية، وهم من أولاد إسماعيل، يساندونه في الفتوحات، وقد أحبوا الظاهر بيبرس أبا الفتوح، وقدموا له أرواحهم وأموالهم للدفاع عن حرمة الدين، ولحمايته وحماية الدولة من الأعداء النصارى والتتر، وفي مقدمة هؤلاء إبراهيم، وسعد بن الدبل، ومعروف بن حجر وابنه عزنوص، وسلطانهم جمال الدين شبيحة.²

وتذكر السيرة أن جوان (القاضي صلاح الدين) قد ولد سفاحاً. ورضع لبن كلبه فنشأ على الأذى، وكان هذا قد قرأ في الكنيسة "كتاب اليونان" وهو كتاب مروى عن الجن، وفيه حديث كثير عن السحر، وعن الحروب التي ستدور بين المسلمين والنصارى، وكان قد عرف منه أن سلطاناً يدعى بيبرس سيفتح بلاد النصارى، وأن رجلاً يدعى رمضان (شبيحة) سيقتله

1-د/عز الدين محمد بن علي بن شداد، تاريخ الملك الظاهر بيبرس، (مرجع سابق)، ص 21-22.

2-<http://www.odabasham.net/>نقد-أدي/87617-النشر-العربي-في-عصر-الدول-المتتابعة-د. زينب بيبره

ويقطع أوصاله في عربة، فراح هذا يبحث عن عدو النصارى (بيبرس) وعن عدوه (شيحة)، وتمكن من انتحال هوية قاض مسلم يدعى صلاح الدين بعد أن تعلم منه الإسلام ثم قتله، ووصل إلى مصر فأكرم على أنه العالم صلاح الدين، كما أنه عثر على شيحة وأراد أن يقتله، فنصحه مرافقه سيف الروم البرتقش أن يتخذه خادماً ففعل، فقرأ شيحة عنده كتاب اليونان- وعرف كيف ينجي المسلمين من المهالك التي تحاك ضدهم - كما تعلم منه أموراً سحرية فصار يستطيع أن يتشكل بأشكال عديدة بالنظر إلى مرآة سحرية، أو بشرب حبوب معينة، وصار إذا نودي في مكان حضر وأجاب، وصار عنده بدلة يطير بها، وقد قطع رأسه مرة فتمكن من تركيب غيره، كما أعطاه ولي الله عبد الله المغاوري بوقاً ينفخ فيه شراً ليخيف به العدو ليستخدمه في جهاده للكفرة، وقد كرس هذا أعماله لخدمة الإسلام وسلطان المسلمين، وساعد بيبرس في فتوحاته، وكان إذا سرق أحد من المسلمين بث عيونه بوصفه سلطان القلاع والحصون ليعرف مكانه، ثم يؤدب سارقه، وكان جوان لا يفتأ يتنقل هنا وهناك محرضاً النصارى على قتل المسلمين، وساعياً إلى قتله وقتل بيبرس، وقد انضم إلى شيحة كثير من الفداوية بعدما رأوا قدرته وذكاءه، كما عوضته حيله السحرية عن بطولته الجسدية، إذ كان يفتح المدن ويقتل الملوك بعد أن يدخل عليهم في هيئة بطريق، أو حوري من حواربي المسيح عليه السلام، وكان جوان يحذر الملوك منه ولكن بعضهم لم يصدقه لأنه كان يبدو أمامهم عالماً بالملة النصرانية.¹

وقد اتسعت البلدان التي فتحها بيبرس، حتى وصل المشرق، وكان هولاء يكوون يكيد له ويرسل إلى دولته من يعمل على قتله أو قتل رجالاته، وكان جوان يحرضهم أيضاً حتى إنه ادعى أنه يعبد النار ليستجيبوا له وليحاربوا المسلمين مع النصارى، وكان يعد النصارى بأراض في سقر ويزيادة في أعمارهم خمسين أو مئة سنة، ويدعي أنه يصعد إلى السماء ويتلقى الأوامر من السيد المسيح.

وقد استخدمت الأطراف الثلاثة، المسلمون والنصارى والمجوس من التتر التخدير وسيلة حربية يتمكنون بها من سرقة الأبطال. وأدى هذا التماس العسكري إلى إسلام بعض النصرانيات، وزواجهن من المسلمين وكثيراً ما كان آباؤهن يمنعونهن من أزواجهن، فيلدن عندهم أولاداً يحاربون المسلمين، وكان بعضهم يعرف أباه في ميدان الحرب ولاسيما عندما يؤسر فتكشف أمه هويته لأبيه، فيعلن الابن إسلامه، وينضم إلى المجاهدين المسلمين، كما حصل لعرنوص بن معروف، وعيسى الجماهيري بن إبراهيم الحوراني .

ويبدو دور المرأة المسلمة في جهادها ضد العدو، ومساندتها لأخوتها في الحروب، وقد تعرضت الكثيرات إلى الأسر والخطف، ونشبت حروب كثيرة من أجل إنقاذهن، وكان بيبرس شديد الاهتمام برعيته رجالاً ونساءً، يتفقدهم ليل نهار ليعيشوا في أمان.

و لعب السحر دوره في هذه السيرة، وكانت شخصيات السحرة تشارك في العمليات العسكرية رجالاً ونساءً، مسلمين وغير مسلمين، فتاج ناس زوجة شيحة أسلمت على يديه، وكشفت بسحرها عن أماكن كثير من المختطفين، وقامت

بأعمال أنقذت بها المجاهدين، ووصل شيحة بالسحر أيضاً إلى أرض جزائر الزهور المركبة على النهور، وأرض جزائر الشفق لإحضار فص الجواهر من منطقة سبعة القصور المحمية، وإحضار كلبوش الحكيم لاهوق من الأرض الغواصة والسافية القلابة... وكانت هذه الأعمال تساعده في إذعان المعارضين لتولييه سلطنة القلاع والحصون لأنه لم يكن من الأشراف الفداوية. وقد وقع جوان في قبضة المسلمين مراراً، وكان شيحة يضربه ثم يطلب من السلطان بيبرس أن يطلق سراحه، ولكن هذا أقسم أخيراً ألا يطلقه لكثرة ما حرض على محاربة المسلمين، فلما عثر عليه شيحة في كنيسة الذهب التي كانت محفوظة بالسحر، وتمكن منه أخذه إلى مصر، فغرض في عربه وقطع جسمه، ولكن ابنه أسفوط وابنته رومة ثأرا له بتحريض النصارى على المسلمين، وتمكنت رومة بعد زواجها من شيحة أن تقتل ابنه، كما قتل أولاده الثلاثة في حروب النصارى.

وفي أواخر حياة بيبرس سلم السلطنة إلى ابنه محمد السعيد، وذهب إلى الحج، ورافقه قلاوون، فلما عاد سممه قلاوون بالاتفاق مع أمير دمشق، كما سمم ابنه محمد السعيد بعدما صار سلطان مصر، وقتل أحمد سلامش بن بيبرس بعدما تسلطن بعد أخيه، ولكن إبراهيم الحوراني قتل قلاوون انتقاماً لبيبرس وولديه، فتسلم السلطنة خليل بن قلاوون، وتابع أعمال الفتوحات.

أ- البعد التاريخي في السيرة:

ويتمثل في مشاركة الظاهر بيبرس مع المماليك في معركة المنصورة ضد الصليبيين في رمضان من عام 647هـ الموافق 1249م والتي تم فيها أسر الملك الفرنسي لويس التاسع في دار ابن لقمان، وهروب ركن الدين بيبرس للشام بعد مقتل فارس الدين أقطاي وتولي غريمه عز الدين أيك للسلطنة، وعودته لمصر متولياً منصب الوزارة بعد تولي سيف الدين قطز للحكم عام 1260م، ليشتركا معا في محاربة المغول الذين كانوا في طريقهم إلى مصر بعد اجتياحهم المشرق الإسلامي ثم العراق، واستقاطهم الدولة العباسية في بغداد، كما يرجع له الفضل بعد الله مع زميله السلطان المظفر سيف الدين قطز في وقف المد المغولي على مصر واندحار الخطر المغولي عن العالم وذلك في معركة عين جالوت بفلسطين عام 1260م، والتي كانت أمام الجيش المغولي بقيادة القائد المغولي المنك كتيغا.

ب- البعد السياسي:

ويتمثل في قيام السلطان الظاهر بيبرس بعد توليه الحكم بإحياء الدولة العباسية في القاهرة، والتي أسقطها المغول في بغداد عام 1258م، حيث استقدم السلطان بيبرس (أبي العباس أحمد) وعقد مجلساً لمبايعته للخلافة في القلعة في 9 محرم 661 الموافق 22 نوفمبر 1262م، وبايعه بيبرس على العمل بكتاب الله وسنة رسوله وأصبحت بذلك السلطة الفعلية في يد الظاهر بيبرس، كما شهد عهده نهضة معمارية وتعليمية كبيرة حيث اهتم بتجديد الجامع الأزهر، كما أنشأ عام 665هـ جامعا عرف باسمه إلى اليوم في مدينة القاهرة وهو جامع الظاهر بيبرس، وأقام المدرسة الظاهرية بدمشق عام

676هـ.. ويعتبر الظاهر بيبرس من أبرز ملوك الدولة المملوكية، بتحالفه مع بركة خان زعيم القبيلة الذهبية المغولية، وإقامته لمعاهدات وعلاقات ودية مع كل من مانفرد فردريك الثاني الإمبراطور الروماني وملك قشتالة^{١٢} ألفونسو العاشر، وبقضائه أيضا على المؤامرات التي كانت تحاك ضد حكمه، حيث أحمّد تمرّد الأمير علم الدين سنجر الحلبي عام 1260م، والتي كانت بعد مقتل السلطان قطز، إضافة إلى ثورة الكوراني في القاهرة ضده في نفس العام ووسع ملكه بالفتوحات، حيث أعلن الجهاد في جبهتين ضد المغول والصليبيين في الشام وقد دام حكمه حوالي ثمانية عشر عاما.

ج- البعد النفسي:

بيبرس من أصل تركي ولد في صحراء القبحاق ووقع في أسر المغول وهو في الرابعة عشر من عمره، وبيع في أسواق الرقيق بدمشق، فاشتراه الأمير علاء الدين أيديكين الصالحي البندقداري، فسمي بيبرس البندقداري نسبة إليه، ثم انتقل إلى خدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب، فأعتقه وجعله من جملة مماليكه، ثم ولاه رئاسة إحدى فرق حرسه الخاصة، ثم رقاها قائدا لفرقة المماليك مل رأى من شجاعته وفروسيته.

ونرى تطلع بيبرس إلى السلطة والميل إلى الثأر وامتلاء فؤاده بالحقد من صديقه القديم السلطان سيف الدين قطز، حيث حمل في نفسه رفض قطز إعطائه ولاية حلب وعدّ ذلك انتفاضا من قدره وهضمًا لدوره في عين جالوت. ووجد من زملائه من يزيده اشتعالا فدبّر معهم مؤامرة للتخلص من السلطان وهو في طريقه إلى القاهرة وكان لهم ما أرادوا.

د- البعد الاجتماعي:

بدأ بيبرس عهده بالعناية بدولته وترسيخ دعائمها والقضاء على الفتن والثورات التي اشتعلت ضده، ففي السنة الأولى من حكمه نشبت ثورتان عارمتان إحداهما بدمشق والأخرى بالقاهرة، أما الأولى فقام بها الأمير "علم الدين سنجر الحلبي" نائب دمشق احتجاجا على مقتل سيف الدين قطز، ورفضًا للإقرار بسلطنة بيبرس، ولم يكتف بالتمرد والعصيان بل أعلن نفسه سلطانا وحاول استمالة بعض أمراء الشام إلى جانبه، لكنه لم يجد معاونًا، ولجأ بيبرس معه إلى الإقناع والمسالمة للدخول في طاعته وترك العفصيان، فلما لم تفلح معه الطرق السلمية جرد إليه جيشًا أتى به إلى القاهرة مقرنا في الأصفاد في 16 صفر 659هـ. أما الثورة الثانية فقادها رجل شيعي يعرف بالكوراني أظهر الورع والزهد، وسكن قبة جبل المقطم، واستمال بعض الشيعة من السودان، وحرصهم على التمرد على السلطة الجديدة، فثاروا في شوارع القاهرة في أواخر سنة 658هـ، واستولوا على السلاح من حوانيت السيوفيين واقتحموا اسطبلات الجنود، وأخذوا منها الخيول، لكن بيبرس أحمّد الثورة بمنتهى السرعة والحزم وأمر بصلب الكوراني وغيره من زعماء الفتنة.

كما كان بيبرس رجل دولة وإصلاح بحيث لم تشغله حملاته الحربية الناجحة عن عنايته بتنظيم الأمور الإدارية والقيام بالكثير من الإصلاحات الداخلية، واستحداث بعض الوظائف الإدارية، والعناية بديوان الإنشاء عناية فائقة وكان يقوم بمثل ما تقوم به وزارة الخارجية الآن، وأنفق عليه الأموال الطائلة، وبلغ من دقته أنّ أخبار الشام كانت تصله مرتين في الأسبوع وصار على علم بما يدور في دولته المترامية دون بطءٍ أو تراخٍ. وأدخل بيبرس تعديلات على النظام القضائي في مصر

١٢-قشتالة: مملكة سابقة تاريخية اندمجت تدريجيا مع جيرانها لتصبح تاج قشتالة ثم مملكة إسبانيا لاحقا.

حيث عيّنت أربعة قضاة يمثلون المذاهب الأربعة، وأعاد الجامع الأزهر إلى ما كان عليه، وقام بترميمه وتعميره بعد الإهمال الذي لحقه في العصر الأيوبي.

2-دراسة فنية لسيرة الظاهر بيبرس:

أ- دراسة الحوادث :

كثرة الحوادث والمغامرات جعلت هذه السيرة أشبه بقصص الحوادث، وتبدأ كل حادثة بمجيء رسالة تخبر بيبرس أو ولي الأمر بمجيء رسول من بلد معين فتكون هذه الرسالة محفزاً للحديث عن حرب أو سرقة شخصية ما، وقد تبدأ بقوله: "وجلس الملك في الديوان إلى يوم من الأيام، فوجد...". أو يشعرنا بأن الملك كان منقبض الصدر، فخرج يتجول بين الناس في الليل فرأى مشكلة أو حدثاً، ويوصف هذا الحدث. وقد يتوقف الحديث عن شخصية ما مدة طويلة بسبب سجنها، كما حدث لمعروف، ليظهر على مسرح السيرة قصص متعددة وشخصيات كثيرة. ولا نرى في السيرة حبكة واحدة لتعدد الحوادث إذ تأتينا مغامرة تلو الأخرى ولكل منها -إن صح التعبير- عقدة وحل، ويتدخل القدر كثيراً في حلها، وقد نقول إن هناك فصلاً دون أن تعنون أو تفرز في أماكن منفصلة، أو لقطات من هنا وهناك على غرار ما نرى في القصة المعاصرة، ووحدة العمل القصصي لا تعتمد على الحوادث وإنما على الشخصية الأولى البطل، فهي الخيط الذي يجمع أجزاء القصة من خلال مساعيه لحماية الدولة التي يكيد لها أعداؤها في الداخل وفي الخارج. وفي القصة عناصر تشويق منها مفاجآت القدر برؤيا تحل المشكلة، أو بإنهاء حرب على يد ابنة ملك أسلمت، أو بنجاة السلطان لأن إبراهيم الحرس الشخصي للسلطان استبدله برجل كان قد حكم عليه بالإعدام. ومن عناصر التشويق أيضاً وصفه للبطولات الفذة، والحروب التي تتلج الصدر، أو النجاة من مسالك وعرة في أرض سحرية. ومنها المبارزات التي تجري بين الأب وابنه دون أن يعلم أحدهما الآخر ثم تكتشف العلاقة بين المتحاربين، وينضم الابن إلى صفوف المجاهدين. وأيضاً من عناصر التشويق أن يرى اثنان حلماً واحداً يشير إلى مستقبل ما ثم تتحقق الرؤيا. أيضاً الوصف القبيح الذي يوحى بالشر كما في وصف «جوان مشوه الخلق، قد انكسف القمر ليلة ولادته، وأظلمت الدنيا وكان نحس النحوس، وماتت أمه يوم ولادته، ولم يرضع لبن أحد إلا كلبة، فنشأ على الأذى والفتن».¹

وقد عرضت الحوادث بالطريقة التحليلية أو بطريقة السرد المباشر على لسان الراوي، وبضمير الغائب، مما أتاح المجال لوصف المعارك؛ إلا أن لبعض الحوادث عرض من خلال الرسائل المتبادلة بين الطرفين، أو الصادرة عن جهة واحدة كما في الرسائل التي كان يرسلها جوان (القاضي صلاح الدين) للإيقاع بيبرس، وعرض بعضها الآخر بطريقة تمثيلية كما في حديث الرجل الذي ربي غلاماً فعاقه وخانه ثم اتهمه بجرمة قتل ليتخلص منه، وقد عرضت قصته من خلال حديثه مع بيبرس بعد القبض عليه. ونظراً لطول السيرة وتعدد حوادثها وشخصياتها فقد نسي المؤلف أحياناً ما قاله من

قبل فوقع في تناقض، فقلالون كان في مقدونية، وقد علم نصرانياً فيها فنون الحرب، فحاء هذا إلى مصر ليارز الأامراء، فعلم على كل منهم حتى على قلاوون (الغائب عن مصر). كما أنها لم تقسم إلى فصول محددة لها بداية ونهاية معقولة، بل جزئت خمسين جزءاً بطريقة عشوائية أحياناً، ولعل هذا أحد أسباب الإعراض عن قراءتها، فضلاً عن طولها وطباعتها الرديئة، ولو اتبع المؤلف في تجزئتها طرقاً فنية كالتى عرفت في العصر الحديث لذكر للعرب سبقهم في هذا الفن لأن العناصر الفنية توفرت فيها جميعها إلا في شكلية العرض ومنهجيته. ومما أخل أيضاً بفنية الحوادث عرضه لسير السلاطين الذين حكموا بعد بيبرس وصولاً إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، واحتلال الإنكليز لمصر وثورة أحمد عرابي، وكأن هذه الزيادات مع تحول التأريخ إلى ميلادي لا هجري كان من عمل النساخ، ولاسيما أن الأسلوب قد تغير، وصار أقرب إلى اللغة من أسلوب السيرة عامة.

ب- دراسة الشخصيات :

لكل عصر بنية نفسية تحدد سلوكيات أفرادها، وعصر بيبرس كان عصر الجهاد ضد التتر والصليبيين، وهذه الملحمة تحكي بطولة الظاهر بيبرس، وكان الحديث عن العهد السابق لظهوره يدل على الجو العام الذي سيخترقه الظاهر ويثبت فيه جدارته وأهليته لخوض غمراته.

فالبطل بيبرس يبدو على مسرح الأحداث في مستويين، فردي وجماعي:

1- المستوى الفردي:

ينتمي إلى أسرة حاكمة، فوالده شاه جمك ملك خوارزم ولئن مكر به عمّاه وتركاه في البراري فأخذه الراضي عابد النار إلى بورصة وباعه بيع الرقيق، وانتسابه إلى إبراهيم بن الأدهم الزاهد المعروف بتقواه جعله نبيل الخلق كريم النفس متواضعاً مع صحبه، وفي معيشتة الخاصة، وكان يجلب العلماء، ولا يميز بين شريف ووضع، فالكل في نظره، وحسب انتماؤه الإسلامي، أخوة في دين الله. وقد جعله إيمانه القوي بعظمة الإسلام يطبقه تطبيقاً تاماً، وكان يعتمد على نصرته الله لا على السحر، وكان شهماً قوي الخلق، وقد ضعف الأمراء أمام الملكة مريم النصرانية عندما حاربوها فتصدى هو لها وقتلها؛ ولما تشاجر ابنه محمد السعيد مع أحمد إسكندرون بن شاهين وزيره عاقب ابنه عقاباً أليماً بعدما عثر عليه، إذ جعله يمشي في البراري والقفار وهما في طريقهما إلى مصر، وكان قوي البدن وقد شهد له أن قوته تعادل قوة ألف رجل.

2- المستوى الجماعي:

فهو عضو في دولة إسلامية كبرى، ولذلك سعى منذ ما قبل توليه إلى القضاء على البغاة والمفسدين، فلما أسند إليه

الأمر قام بالمهمة على أكمل وجه، وكان إذا رأى فارساً ذا بأس صبر عليه حتى يتوب ليفيد بقوته الدولة الإسلامية. وهو يرى أن الصداقة تقوم على الدين لا على النسب، إذ لا فرق بين البدوي (شيحة) والفداوي (إبراهيم بن حسن الحوراني) والنصراني الذي يعلن إسلامه (كعرونوص) والعجمي من أبناء الملوك مثل (بكتمر) إذا كرس هؤلاء جهودهم وطاقتهم في سبيل الله. و كان إن رأى خائناً لله ورسوله، عدواً للدولة الإسلامية قتله كائناً من كان، كعبد الشيطان "محمود المصارع" الذي جاء إلى الدولة الإسلامية ليكيد لها، وكذلك تمرشاه، وجاريتة العجمية، واليهودي الذي حرم المسلمين رواتبهم حين رفضوا أن يغيروا أسماء أولادهم من محمد إلى عيسى أو موسى. وهو يحرص على كل فرد من أفراد رعيته، يتفقدهم، ويسافر إلى البلدان ليتعرف أحوالهم، وإن سرق أحدهم سير جيشه لمحاربة من وجد عنده، وكان له عيون مبنوثة في أرجاء البلاد ينقلون إليه الأخبار.

أما الشخصيات الثانوية فكانت نوعين:

- 1- من كان يقوم أفراده بأعمال لها أثرها في مسيرة الراوية
- 2- من برز دورهم في أمر ما، ثم مضوا من غير رجعة، أو عادوا وكانت أعمالهم توضح حدثاً أو تكمله. وكانت هذه الشخصيات وتلك هي الخيط الخيالي الذي يجمع أجزاء السيرة في وحدة عضوية على الرغم من كثرة الحوادث فيها.

ولعل في مقدمة هذه الشخصيات الثانوية جوان، الذي تسمى بأسماء متعددة، فهو عند ولادته عبد الصليب، وفي الكنيسة جرجس، ثم القاضي صلاح الدين، ثم جوان أخيراً، وتغيير هذه الأسماء كان ليناسب تحركاته السياسية ضد المسلمين. وكان هذا قد ولد سفاحاً من أربعين في عملية إجرامية ضد راهبة، فكان رمز الشؤم، إذ ماتت أمه عند ولادته، ولم يرضع من أحد إلا من كلبة فنشأ على الأذى والفتن، وقد انكسف القمر عند ولادته، فأرسله جده إلى عمه الراهب كرسيمول فرباه في الدير مع سيف الروم البرتقش ولما قبض النصارى على حجاج المسلمين وسجنوهم كان فيهم عالم عراقي يدعى صلاح الدين، فتعلم منه الإسلام ثم قتله، وعثر في جيبه على رسالة تسند إليه منصب القضاء فتوجه إلى مصر لاستلام هذا المنصب، منتحلاً شخصية العالم العراقي. وكان قد قرأ في الدير كتاب اليونان، الذي ذكر فيه غيب الأمور ومستقبلها، وعرف أن بيبرس ورمضان شيحة سيكونان ألد أعدائه، فعثر على الثاني في أعراب غزة وهو في طريقه إلى مصر، فاستخدمه بعدما كاد يقتله، فقرأ هذا عنده كتاب اليونان وعرف أسراره. وفي مصر راح جوان يكيد لبيبرس، يزور كتباً باسمه أو بأسماء أخرى ليوقع به، ويجرض عليه السلطان، ويدفع الأموال لذلك، ولكن بيبرس بحكمته وذكائه وإخلاصه لله ثم للدولة كان ينجو من مكائده، ولما كشف أمره خرج من مصر ليتابع مؤامراته ضد السلطان بيبرس على المستوى العالمي، وكان يوهم النصارى في البلدان أنه يصعد إلى السماء ويتلقى من المسيح الأخبار، وأنه يتصل بالحواريين، وقد أحل للنصارى أكل لحوم البشر، والزواج من البنات مقابل محاربتهم للمسلمين

وكان كلما وقع في قبضة المسلمين وأراد بيبرس قتله لِفَتْنِهِ قال له شيحة إن له أواناً غير هذا الأوان، ثم ضربه شيحة وأطلق سراحه، إلى أن طفح الكيل وقبض عليه فوضع في عربة جهزت لقتله وتقطيعه أمام عامة الناس، وقد تزوج شيحة ابنته رومة بعدما أسلمت أو ادعت الإسلام، ثم كانت سبباً في قتل ابنه محمد السابق، أما ابنه أسفوط فقد استمر يحرص النصارى حتى قتله المسلمون في المعركة. وتعد حياة هذه الشخصيات وتحركاتها السلك الذي يجمع حبات الحوادث بعضها إلى بعض.

ومن الشخصيات الثانوية الهامة أيضاً المجاهد إبراهيم بن حسن الحوراني، وكانت لديه فراسة صادقة يعرف بها عدو الإسلام من المخلص لربه، وكان يرافقه ابن خالته سعد بن الدبل في جهاده وتحركاته. ومعروف بن حجر وكان سلطان القلاع والحصون قبل شيحة، وكان شديد التقوى والإخلاص لله، وقد غاضب ابنه لأنه أبدى نفوراً من سلطان المسلمين، واستشهد في حلب عند باب أنطاكية، كما كان ابنه عنوص ملك مدينة الرخام، ومن المشهورين بفروسيتهم، وقد أمد المسلمين بقوته وبجنده.

ومعظم هذه الشخصيات تتصرف تصرفات واقعية، فيبيرس قائد ناجح، ومسلم متدين، وحاكم عادل. وعثمان بن الحبله كان من العاقين ثم تاب وحسنت توبته فصار يلازم بيبرس. والمماليك يكر بعضهم ببعض في السلم، ويتحدون في الحرب. والمرأة المسلمة معزة مكرمة، وكم من حرب جرت لإنقاذها، وهي عفيفة ذات حجاب، ولها حرية الزواج عند بعض الأسر لا جميعها، فالمياسة بنت مرعش لم يجبرها أبوها على الزواج وكانت تصطاد النمر، وقد قتلت واحداً لأنه كشف وجهها وهي تقول له: "أما تستحي" وقد رغب عنوص بن معروف أن يتزوجها فرفضت لأنها تحب حياة الفروسية لاحتيا الحياة الزوجية. وقد شاركت المرأة المسلمة في الحروب طواعية كما فعلت اللبوة أم إبراهيم الحوراني، وأخته ثاراً له عندما توهمتا أنه استشهد، كما ساعدت فاطمة الحوراني ملكاً أسلم وطلب أن ينتسب إلى الفداوية فطلب منه هؤلاء أن يحضر كلبوش الحكيم من الأرض السحرية امتحاناً لبطولته وذكائه. واستخدمت المرأة للكشف عن الجرائم، ولاسيما العجائز، إذ كانت إحداهن تدخل على البيت وتكتشف أسراره، كما عملن على قتل العدو بالسم بعد أن يتظاهرن بالرغبة في الاقتران به، وكانت المرأة النصرانية لا تجرؤ على إعلان إسلامها أمام ذويها، وتربي أولادها كترية أهلها إن عاشت معهم، ولكنها تتحين الفرصة المناسبة لتعرف ابنها على أبيه، فتعود إلى زوجها، ويصير ابنها عضواً نافعاً في المجتمع الإسلامي بعد إعلان إسلامه، كما حصل لمريم الزنارية وابنها عنوص، ولزوجة إبراهيم الحوراني وابنه عيسى الجماهيري، ولمريم بنت عنوص وزوجة تقطمر.

ووجدت نساء كان لهن دور كبير في خيانة الإسلام، كما فعلت جارية بيبرس، وقتلت بسبب ذلك. أما الساحرات فالمسلمات منهن ساعدن الفاتحين كتاج ناس زوجة شيحة، والكافرات منهن كن ضدهم كالكاهنة مشينة. وقد عرضت هذه الشخصيات بالطريقة التحليلية غالباً، وكان السرد المباشر يرد على لسان الراوي كأن يقول (قال الراوي: فهذا ما كان من أمر هؤلاء، وأما ما كان من أمر...¹) وفي هذه الطريقة يبدو الراوي يسرد الأمور وهو عليم

١- علم الفراسة هو العلم الذي يستدل به على الأخلاق الخفية من خلال الظواهر المرئية وبالتالي يتم "تحليل الشخصية"

البشرية.

بظواهرها وبواطنها ولذلك يعللها ويذكر أسبابها ونتائجها، ويتنقل بين الشخصيات يروي ما تفعله، وبذلك اقترب الحديث من تيار الوعي الباطني، وقد لوحظ هذا في كثير من القصص الاتباعية (الكلاسيكية)، أما في القصة الحديثة فقد تحول الأمر إلى تيار الوعي يترجم به عن المشاعر والأحاسيس، فيما سمي بالمناجاة الذاتية .

وقد اهتم الكاتب بعرض نفسيات شخصياته على لسانها أو على لسان الراوي على نحو قول المؤلف «قال الراوي فلما سمع مسعود بك ذلك الكلام صار الضياء في وجهه ظلام، وقد صعب عليه وكبر لديه، ثم زاد بعد الغضب فقال له يا قليل الأدب أنت رجل جئتني فأكرمتك وحصل لك مني غاية حفظك فكيف أنت تقابلني بقبيح فعلك، وتذكر لي مثل ذلك بجهلك، وكيف يتصور في عقلك أنك تأخذ مني ما رأيت ويكون تحت يدك ... لا وعزة الله إن طلعت عليك شمس غداً وأنت في بُرصة لأذيقك العذاب وكل غصة، ثم إنه صاح فيه أن اذهب عني واخرج من بلدي فهض علي من عنده، وصار يجري ويتعثر في أذياله»¹.

فهنا نرى الكاتب يعرض الحالة النفسية لمسعود حين طلب منه علي أن يشتري مماليكه الذين توفرت فيهم الصفات التي أرادها السلطان نجم الدين صالح، ولكن مسعوداً يتميز غيظاً ويطرده بعد أن يوبخه. وقد ورد هذا على لسان الشخصية التي يروي الراوي حديثها، وكثر أمثال هذا في السيرة. ومن الحديث عن نفسيات الشخصيات أيضاً حديث جوان عن حقه على المسلمين وتمنيه أن تسفك دماؤهم، وغيرة شجرة الدر من ضرتها.

وشخصيات السيرة كشخصيات الحياة، بعضها مسطحة تلام حالة لا تتعدها، فبيبرس مسلم متمسك بالإسلام، مجاهد في سبيله، مخلص في عمله، لا يخاف في الله لومة لائم. وجوان عدو لدود للمسلمين، يسعى لخدمة دينه ويتخذ لذلك أساليب شتى، وهو حينما عبد النار لم يعبدها لاعتقاده بها، وإن ادعى ذلك أمام هولاء، لأن غايته كانت في هدم الإسلام، وعنده: الغاية تبرر الوسيلة.

وهناك شخصيات نامية تحولت من حال إلى حال، فعثمان وحرش كانا من العاقين ثم تابا، والبرتقش صار مسلماً وأخلص في أخريات عمره حتى قتل ابنه الكافر بعد أن كان يحارب الإسلام مع جوان ويسعى إلى ذلك ما استطاع سبيلاً. وكان الكاتب يتعاطف مع بيبرس السلطان المجاهد العادل على حين يقسو على جوان ويصفه بالشؤم وبالقدارة فهو لا يغتسل إلا ببصاقه ويركب حمارة عرجاء ... وذلك ليجعل القارئ ينفر منه، ويقف حيادياً تجاه الشخصيات النامية، إذ نفر منها حينما كانت تنغمس في الفساد، ثم أنثى عليها بعد توبتها، كما فعل مع عثمان.

أيضاً كان لتسمية الشخصيات علاقة بها أحياناً، فجوان هو عبد الصليب في نصرانيتها، وهو صلاح الدين عندما ادعى الإسلام، وشيخة هو رمضان وجمال الدين، وسيف الروم هو البرتقش ثم هو المنصور، ومحمود الرافضي هو عبد الشيطان، والمياسة هي فتاة فارسية مختالة ببطولتها وجرأتها. وقد تعددت أسماء كثير من الشخصيات، وكان سبب بعض التعدد تغيير هوية حامله من حال إلى حال، فأيدغمش العجمي هو محمود وهو بيبرس، والبرتقش هو سيف الروم ثم المنصور، وعبد الصليب هو جرجس ثم صلاح الدين ثم جوان وهكذا... وبعض التغيير ناجم من التصحيف أو من

1-سيرة الظاهر بيبرس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مرجع سابق)، ص121.

تغيير نطق الاسم الأعجمي، فعرونص هو عرقوص، والفداوي الكرت، والأكرت، وكبرت . والملك أبرأ هو أبرمة، والملك سهدرون هو ههدرون، وههدون. وتقطر هو تقتمر وهكذا.. وقد تكون المسافة بين ذكر الاسم الأول والثاني سطر واحد فحسب كما في علي بن برد غدان، بازدغان، بردغان، وبعض التغيير كان بسبب خطأ تاريخي، فالمقتدر والمقتدي شخصية واحدة، وهو والد شجرة الدر، مع أن بينهما في التاريخ حوالي قرنين. وقد يطلق الاسم الواحد على شخصيات متعددة، فبعد الصليب أطلق على جوان، وعلى ملك يافا، وملك قلعة العقبة، وعلى قبطان نصراني، وعلى صاحب قلعة العروض، وصاحب قلعة العاليا و... والقرينة هي الدالة، وربما كان سبب بعض ذلك أن بعض الشخصيات تاريخية لا يمكن تغييرها

ج- دراسة الحوار:

وهو وسيلة يستخدمها الكاتب لعرض الحوادث أو الشخصيات، وقد يبدأ به الحديث، أو يصور نفسية الشخصية أو ينمي الحدث ويطوره، أو ينتهي به.

وقد بدأ الحدث بالحوار الذي جرى بين نجم الدين صالح ورسول شجرة الدر، إذ جاء فيه :
«وإذا أربعة يقبلون الأرض بين يديه، فقال الملك الصالح ما الخبر؟ فقالوا يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين، اعلم أننا نحن رسل السيدة فاطمة شجرة الدر بنت أمير المؤمنين المقتدر بالله تعالى، وقد أمرتنا أن نقول لك أن الأرض أرضها ومصرها وإن حجتها معها، وهي تأمرك أن تنزل من على التخت، وهو توليه لمن تريد من السادات أو من العبيد.
قال الراوي: فلما سمع الملك ذلك الكلام وما قالوه من المرام أخذه الغضب وزاد غيظه والعجب، وقد رآه الوزير على ذلك الأمر الخطير فقال له: اعلم يا أمير المؤمنين، وخليفة النبي الأمين، أن ما ذكره الرسل فهو حق، وما تكلمت به السيدة فهو حق، لاسيما وقد ورثت الأرض عن أبيها ومعها تشريف بخط الملك وحثمه وطاعن فيه الأجانب وإن كلام الملوك تمام وما أرسلوا به لا بد من الإتمام، ولو كان خلاف ما فيه المصالح للأنام، وإني أقول لك إن هذا الأمر ماله غير الحيل والخداع وقد قال القائل في المعنى»¹.

دارهم ما دمت في دارهم	وحيهم ما دمت في حيهم
واتبع فتات المكر حتى	تنال ما تروم من الأمر
فالصبر قليل على هذا القليل	فبالصبر تكفي كل أمر وبيل

فهنا نرى هذا الحوار بين الرسل ونجم الدين صالح والوزير يمهّد لزواج نجم الدين من شجرة الدر، وما سيؤول إليه هذا الزواج. ومن الحوار الذي ينم عن نفسية صاحبه أيضا ما دار بين نجم الدين صالح وبين القاضي صلاح الدين حول بيبرس.

1-سيرة الظاهر بيبرس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مرجع سابق)، ص 56، 57.

قال له "هذا الغلام أتى من بلاد العجم دسيسة، ويريد أن يفسد ملكك، فأنت تكذبي ولا تصدقي، وهذا الغلام يقتل قتلة بعد قتلة، وإن كان يعظم عليك قتله أنا أعطيك من مالي..."

ومن أنواع الحوار الرسائل المتبادلة كما في الرسائل بين جوان وملوك النصارى، يقول في إحداها للملك سيمون: «قل سيمون، ياسيمون، يخطفك حواري طيار من الحواريين الكبار، يأتي بك إلى عندي، ولم يكن لأحد عليك من سبيل، وإني قد وهبت لك مئة سنة زيادة في عمرك، وعشرين فدادين في سقر، قول يا بركة عالم الملة جوان، شكر يا مسيح، والسلام».¹

وربما يعد رسم الشخصيات والحوار الذي يدور بينها من أهم ما يحقق فنية هذه الملحمة الروائية.

د-دراسة البيئة:

الرواية فن يحكي أوضاع الناس في بيئة ما، زمانية أو مكاني، وقد اتسعت مساحة البيئة التي عرضتها السيرة إذ تمتد خلال القرن السابع الهجري، وعلى مدى بلدان المشرق من أراضي خوارزم، وحتى جزر المحيط الأطلسي غرباً، ومن أراضي إنكلترا شمالاً إلى أراضي السودان في أواسط إفريقيا جنوباً، حيث عبر الكاتب خلال هذا الامتداد الزماني، والاتساع المكاني عن العلاقات العامة السائدة في المجتمعات، والعلاقات الدولية بين الأمم، سواء أكان ذلك في النواحي الدينية أم الاجتماعية أم السياسية الداخلية منها والخارجية.

1-الصعيد الديني:

نجد فئة واعية من المسلمين تحفظ القرآن الكريم مثل تاج بخت بنت بركة، ولا تفرق هذه الفئة بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى كبيبرس، وتنفذ شرع الله لا تأخذها لومة لائم وإن كان من كبار المسؤولين.

والفكر الصوفي ينتشر انتشاراً كبيراً إذ ورد الاعتقاد بأولياء الله الصالحين على حد زعمهم (كالبدوي الشريف العلوي صاحب الإمدادات النبوية) الذي جاء إلى المستشفى الذي يرقد فيه بيبرس لينقذه، لأنه سيكون "ملك الزمان وفارس العصر والأوان، وهو الذي ينصر الإسلام، وقيم الأحكام، ويذل جيوش اللغام.. ويفتح السواحل والبلاد، وتطيعه أهل السودان، وينصره النبي الهادي"²

ونجم الدين صالح أيوب يمد يده إلى الهواء ويقول «يا دايماً ثلاث مرات ويقبض على شيء من الهواء، ثم يناوله إلى الوزير ويقول له: خذ هذا الكتاب، إذا تعسرت عليك دعوة فكها من هذا يا شاهين، وإذا هو كتاب يقال له دلائل

الأحكام».³

أما النصارى فيتعلم أولادهم في الدير، وهم يقدسون عالم ملتهم تقديساً مبالغاً فيه، إذ يرون أنه يصعد إلى السماء ليأخذ عن المسيح الأحكام، كما يلتقي بالحواريين، ولهذا فهو الوحيد الذي من حقه أن يغير الأحكام الشرعية لهم، ولهذا أباح لبعضهم أكل لحوم البشر، والزواج من البنت مقابل محاربة المسلمين.

1-سيرة الظاهر بيبرس، (مرجع سابق)، ص 467.

2-المرجع نفسه، ص 142.

3- نفسه، ص 55.

2-الصعيد الاجتماعي:

أظهرت السيرة عادات الناس في أفراحهم وأتراحهم، ومواسمهم الدينية كالحج، وعلاقات الزوجين من الخاصة والعامة، كما تحدثت عن العدل والظلم وشهادات الزور، وعن طوائف البغاة والمفسدين، وعن سطو النصارى على قوافل الحجيج براً وبحراً، وسرقتهم من فيها ليكونوا خدماً في البيوت والقصور¹ وتحدثت عن الأشراف الفداوية وجهادهم مع بيبرس، وعلاقاتهم مع بعضهم بعضاً حسب رتب محددة، ولكل رتبة لباسها، والتابع يسمى المشدود، ويكتب اسم رئيسه على سلاحه الذي يسمى الشاكرية، وهم لا يقبلون أن ينتسب إليهم أحد من غيرهم إلا بعد قيامه بطولات خارقة، وهم ينصاعون لأقوى رجل فيهم. وقد انصاعوا لشيحة مع أنه من عرب غزة من أجل الحفاظ على وحدة الدولة، وبعدها أثبت لهم بطولته في الحيل التي تنفع المجاهدين أحياناً أكثر من القوة البدنية، إذ تمكن بها من فتح عدة قلاع ومدن للمسلمين. والأتراك الموالي لهم عاداتهم، ولا يسمحون لأبنائهم أن ينخرطوا في صفوف غيرهم، وقد غضب قلاوون حينما تبع ابنه خليل الفداوي إبراهيم الحوراني وتزيّاً بزِيّه. وللمرأة مكانتها، ولها ملكيتها التي أعطها الإسلام لها، وهي تتصرف بأموالها كيفما تشاء فتبني قبوراً للغرباء والفقراء، وآباراً على مفارق الطرقات لدفن الأموات فيها، وهناك حوادث احتيال لتزويج المرأة لعدم النظر إليها قبل الزفاف.

3-الصعيد السياسي:

صورت هذه السيرة نجم الدين أيوب يستسلم للقدر، إلا أنه يستجلب المماليك لحماية الدولة، أما بيبرس فهو في السيرة السلطان البصير بأمر المملكة، العارف بكل مناطقها، الذي يسافر ليتفقد الرعية والذي يقيم علاقات بين الدول الأجنبية على أساس من عزة المسلم وإبائه، وليس أدل على ذلك من أن إبراهيم الحوراني كان يحمل كتبه إلى الملوك المعتدين لينذرهم قبل الحرب. وقد اعتمدت دولة الظاهر بيبرس على رجال يجبون الموت ويسعون للشهادة في سبيل الله ويخلصون للدولة إخلاصاً شديداً، ويجبون السلطان الذي أعز الإسلام فأعزهم. كما اعتمدت على جهاز أمني متسع، إذ كان حسن القصاص رئيس مخبراتها، وكان له رجال ييتمهم في مناطق العالم فينقلون إليه أخبار تحركات العالم، وسرقات كبار المسلمين. كما فعلوا عندما أخبروا أن أربعمئة ملك نصراني سيقدمون لمحاربة المسلمين بتحريض من جوان -فتهاياً لهم المسلمون سراعاً، والتفوا بجيوشهم على انفراد فحقق الله للمسلمين النصر عليهم بسرعة تحركاتهم.

وكان في أماكن ضيافة المسلمين للعدو مخادع مكشوفة من أعلاها يجلس فيها من يراقبهم لينظر ماذا يفعلون، وقد اكتشف الوزير أن ضيفه الإيطالي مرين رجل مسلم كان يتظاهر بالنصرانية ليخدم الإسلام والمسلمين القادمين إلى بلاده، والمسلمون في غير الدولة الإسلامية يشعرون بالرابطة المقدسة بينهم وبين المسلمين، ولهذا فهم يعملون على مساعدتهم، وقد أقنع الوزير الرومي المسلم مرين ملكه بمواقف المسلمين، وكذلك فعل رشيد الدولة وزير هلاوون وكان ممن يكتم إيمانه. وكان لا يُسمح للعدو بالدخول إلى البلاد إلا إن حصل على تأشيرة زيارة، وقد يبقى في البحر أياماً ريثما يسمح له.

وكان العدو يأتي مستخفياً في هيئة تاجر غالباً ليثير الفتن في المجتمع الإسلامي، وهو يستخدم رجاله، ويصل بعضهم ببعض سراً، وقد يستخدم الثوار على الدولة، وكان الروافض يعينون النصارى ضد المسلمين. ومن الأسلحة المتداولة السيوف والشاكرية، واللت الدمشقي والمدافع والألغام، وهي بارود يوضع تحت الأرض، ويزرع في مناطق متعددة كما تزرع القنابل اليوم. وقد حفر النصارى سراديب سرية تصل بين المناطق، وكانوا يغلقونها، ولا يفتحونها إلا في أوقات الحاجة، كالسرداب الذي يوصل إلى الميناء الخراب بالإسكندرية.

هـ-دراسة الأسلوب:

برز في عصر الدول المتتابعة مشكلة التزاوج اللغوي بين الفصحى الأدبية وأخرى انخرفت عنها حتى قيل إنها لهجة شعبية أو عامية، إذ كان الأعاجم المسلمون يتكلمون لغة عربية ممزوجة بكلمات أعجمية، وفيها أخطاء لغوية سببها عدم إتقان اللغة، أو اتباع لهجات متروكة، وقد بدا هذا في تسكين أواخر بعض الكلمات، وفي ضعف تركيب الجملة العربية، وهذه اللغة الممتزجة أو المتزاوجة ذات التراكيب المهلهلة في كثير من عباراتها دعت ابن منظور أن يؤلف معجمه "لسان العرب" ليحفظ للعرب لغتهم، كما ناقش ابن الأثير قضية الفصحى والعامية في كتابه المثل السائر. ومن سمات أسلوب السيرة أو لنقل الرواية التاريخية الملحمية مزج الشعر فيها بالثر. والشعر الوارد فيها تكثر فيه الأخطاء اللغوية والنحوية والعروضية، ومنه قوله:

يا حاكماً بين جميع الورى	أنصف الأنام بالعدل والإنصاف
وخذ الحق لكل مظلوم	وأنصفه على الظالم المتهاف
وإن ظلمت فأنت مطالب	بين يدي الحاكم والمواف
يوم لا ينفع فيه مال	ولا بنون ولا أولاف
إلا من أتى ربه بقلب سليم	فذا هو الذي يفوز بالرفراف ¹

فالشطر الثاني أطول من الشطر الأول في الأبيات كلها، ولعل عروضه أعجمي لأنه لم يوزن على العروض العربي، وفيه أخطاء سببها الرغبة في الحفاظ على القافية كما في (المتهاف، المواف، أولاف)، وأرى أنه أراد (المتهافت، الموافي، أولاد). وعلى أي حال فهذا لا يعد خلل في الشعر، ولعل صاحبه أراد أن يزين السيرة بالنظم لما للشعر من مكانة. ومن الشعر الذي قلت أخطأه قول شجرة الدر تشكر ربها لأن والدها أكرمها، لجودها على الفقراء، بتملك مصر:

سأحمد ربي في كل ساعة	على نعمة لم أقدر أمضيها
قد منّ عليّ الكريم بفضله	وبلغني من الدنيا أمانيتها
وعزّني رب الأنام بعزه	وأعطاني معاطي لم أقدر أكافيتها
فله الحمد شكراً ومنة	على وهبه مصر إياي وما فيها ²

1-سيرة الظاهر بيبرس،(مرجع سابق)،ص 255.

2-نفسه، ص 28.

لم يخل هذا الشعر من أخطاء أيضاً.

وهناك لغة رمزية وردت على لسان العارف بالله نجم الدين صالح أيوب، ومن المعروف أن متصوفة القرن السابع أكثرها من الرمز للدلالة على معان لم يرغبوا في التصريح بها، يقول الصالح أيوب:

«الطير نظر الطيور، قام أعلم الطير، قام الطير طرد الطير من القفص، وقال إذا دخلت القفص نقرتك بمنقاري، قام الطير. إن الطيور يأخذها الطير.»¹

يريد أن علي بن الوراق رأى المماليك الذين أرسلهم الصالح لإحضارهم، فأخبر الملك مسعود برغبته في شرائهم، فطرده من بلاده وهدده بقتله، ثم قرر الصالح: إن المماليك يأخذها علي.

وفي السيرة تأثر بالقرآن الكريم وذكر لبعض الأحاديث الشريفة استخدمها المؤلف على لسان الشخصية في معرض الوعظ والإرشاد، كما فعل عرنوص وهو يشرح لزوجته الملكة زهرة الإسلام، واستخدم الألقاب كثيراً على عادة كتاب العصر، كقوله: «وسنرجع إلى سيرة خادم الحرمين الشريفين، وقائد الرايتين، المتكلم بالصدق لا بالشين، الزناد القادح، والبحر الملاان الطافح، والزناد القادح، الولي الناجح، الملك الصالح، نجم الدين أيوب، ولي الله المجذوب.»²

وقد استخدم المؤلف لهجة إبدال بعض الحروف، فالثاء تصير تاء في (عثمان بدلاً من عثمان)، والثاء تصير طاء (له صوط حنين) أي صوت حنين أو حنون، و (أصمط) بدلاً من أصمت، والذال تصير دالاً في (الأندال) بدلاً من الأندال. والهمزة تخفف في (نايب الشام) بدلاً من نائب. كما أن هناك قياس نحوي خاطئ مبني على قواعد النحو التركي لا العربي، فدولتلي يراد بها النسبة إلى دولة بإضافة اللام والياء عند الترك بدلاً من ياء النسبة المشددة عند العرب. وأيضا هناك خلط بين المذكر والمؤنث كعادة الأعاجم أيضاً مثل «أقبل عليه من كبد البر هجان آخر ومال إلى ذلك الشجرة.»³ والصحيح إلى تلك الشجرة.

وأخطاء نحوية كنصب المرفوع في «حصل عنده غماً شديداً ما عليه من مزيد.»⁴ والصحيح غمٌ شديد، ومن الأخطاء النحوية أيضاً استمرار استخدامه حرفاً زائداً في الأفعال الماضية مثل (لا أوراننا وجهه) والصحيح لا أراننا، وربما لكثرتها لهجة استعمالها.. ومن استخدام العامية المصرية كونها من أوسع اللهجات انتشاراً وفهماً بين العرب، وقلما وجدت قوله على لسان شخصية: «...دول ايه يا أبي...» ويرجع هذا لانتشار الأفلام والمسلسلات المصرية من بدايات القرن العشرين، وأيضا لتحضر اللهجة نفسها وكلماتها من قواعد النحو والصرف العربية، وصارت أيضاً مفرداتها وكلماتها منتشرة ومفهومة بين باقي البلاد والمدن العربية كافة رغم أن كثير منها ليست عربية الأصل.⁵

وقد سکن أواخر بعض الكلمات كقوله: «وكان ذلك الملك جبار عتيد، وشيطان مرید، وكانت تأتي إليه الأخبار بما يجري في كل الأمصار.» وقوله: «حتى أن زوجته وضعت غلام كأنه البدر التمام وله جبين واضح فسماه الصالح.»⁶

1-سيرة الظاهر بيبرس،(مرجع سابق)، ص122.

2-نفسه، ص211.

3-نفسه، ص40.

4-نفسه، ص44.

5-نفسه، ص547.

6-نفسه، ص45،71.

و-التقنيات السردية في السيرة:

1- السرد بالوصف:

إذا كان الوصف أصلاً في الإبداع ولا سرد مجرد تقنية، فإنّ هذا يجعل الحضور مكثفاً للسرد، وغيابه غياباً شبه كامل يجعل الكلام سطحياً ومبسطاً، لأن غاية السرد إنما ترتبط بتحرير الوجه الزمني والدرامي للسرد من قيود الوصف، على حين أن الوصف يكون تعليقاً لمسار الزمن وعرقلة تعاقبه عبر النص السردية، ولقد اعتمد راوي سيرة الظاهر على الوصف الدقيق والمفصل لكل مجريات الأحداث داخل السيرة، حتى إنّ القارئ للسيرة يحس وكأنه يتابع تسلسل أحداث شريط سينمائي مما يدفع به إلى الضجر والملل، كقوله: « وثاني يوم توجه كلّ منهم إلى مكانه، وصار يستعد لجمع الرجال والأبطال، وقد جهّز أبو علي البطري مراكبه بالمدافع والبارود والمؤن، وجمع المغاربة من كل مكان إلى أن جمع مراكب كثيرة، وكلها ملاّنة بالرجال المغاربة الأشاوس أولاد عيشة.»¹

إنّ هذا النص المقتطف من السيرة يكشف عن الوصف المباشر والعادي الذي اعتمده السارد ليوضّح ويبين للقارئ الحالات المواكبة للأحداث ليقنعه بجدارة هذه التقنية وأهميتها.

2- تداخل السرد:

في هذه التقنية يلجأ الراوي إلى تضمين الحكايات المتعددة داخل السيرة، ويمكن تعريف التداخل السردية بأنه: تضمين حكاية داخل حكاية أخرى، فراوي سيرة الظاهر منذ البداية ضمّن عدّة حكايات تبدو لنا مستقلة، ولكنها في الحقيقة ممهّدة ومقدمة لحكاية أصل تنضوي تحتها بقية الحكايات، ومنها نجد مثلاً: (قصة الخليفة شعبان المقتدر بالله، وقصة أصفوط وكوسيمول، وقصة الملك الصالح، وقصة عنزوص... الخ)، والجدير بالملاحظة هو أن غياب قصة يؤدي إلى اختلال بناء السيرة، ويجعل الفجوات الفنية. عدم الترابط ودواعي حضور القصة. بارزة للعيان.

3- التقطع السردية:

ونقصد به الانتقال المفاجئ من قبل الراوي من حكاية إلى أخرى دون أن يتمّ الأولى، أو إدخاله لبعض الأخبار عادة ما تكون السابقة للأحداث، وهذا بدافع تعزيز العملية السردية، وإضفاء طابع الحركية على الحكايات، وتعويض صفة الملل والرتابة التي تركها الوصف المباشر وجعل القارئ دوماً في بحث وتساؤل مما يجعله يعيش أحداث السيرة لحظة لحظة، وحدثاً حدثاً، ومن الأمثلة على هذه التقنية قول الراوي بعد عرضه للخاتمة التي آل إليها الصراع بين الفرتماكوس ملك أنطاكية والملك الظاهر بيبرس ودون مقدمات لما سيأتي من الأحداث نقلنا الراوي مباشرة إلى بلاط الظاهر بقوله: « وبعد ذلك تقدّم رجل وقبّل يد السلطان، وقال معي كتاب من سلطان الحصون شيحة من مدينة سيس»²، فالانتقال في هذا المشهد نقلنا من مدينة أنطاكية إلى بلاط السلطان الظاهر يخبّرنا بمكان جمال الدين شيحة وهو يتابع بحثه عن جوان الفار من أنطاكية بعد انهزام جيش الفرتماكوس، ومثل هذا الانتقال والرحيل يحتاج في الوصف المباشر إلى وقت وصفحات طوال، لكن الراوي أدخل تقنية السرد المتقطع أو الانتقال المفاجئ ليسهل على القارئ.

1- سيرة الملك الظاهر بيبرس، سلسلة الأنيس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر ط 1، سنة 1998م الجزائر، ص 210.

2- المرجع نفس، ص 180.

4- المزوجة بين اللغة العربية الفصحى والعامية:

تميّزت لغة السيرة بالمزوجة بين الفصحى والعامية ممثلة في اللهجة المصرية كما رأينا سابقاً، لأن أحداث السيرة العظمى وقعت في مصر، كما امتازت اللغة بالبساطة والرقّة مما يدل على أن السيرة . تحتذي بالشكل السردى الأصيل في الموروث الشعبي العربي، كما اعتمد الراوي على الجمل الطويلة والسرد المرسل وخاصة عندما يصف المظاهر الجمالية للطبيعة أو القصور أو المواقف العاطفية المثيرة، فقد جاء في السيرة أسلوب السرد المرسل المدعم بالجمل الطويلة بصفة مكثفة كقول الراوي واصفاً بيت الأمير أحمد بن باديسه السبكي: « سار الدّال قدامهم وأقبلوا إلى باب من أبوابه الأربعة، فتقدم الدلال وفتح باب الخوخة، فقال له الأمير: افتح لنا الباب الكبير، فقال: يا سيدي إن هذا الباب له مدّة ما انفتح، ولا يقدر أحد على فتحه، وإنّ الستات قد أوصيني وقالوا لي، إذا رأيت شخصاً قد فتح الباب الكبير فأحضره إلى عندنا.»¹

أما القاموس الفني الذي حملته السيرة فيمكن حصره في المظاهر الآتية:

- 1- القوة والبطش والقسوة، ومثل هذه الصفات جوان وشيخة.
- 2- الفروسية بما تشمله من كرم ونبل أصل ورحمة بالضعفاء، والعصاة التائبين أمثال عثمان، ومثل هذه الصفات: الظاهر بيبرس والملك الصالح.
- 3- المناداة والطرب واللهو والشراب والسرقعة، ومثل هذه الصفات شيخ العرب حرحش ومقلد وخضر الحريري.
- 4- السحر والعرافيت والمسح، وتجسدت هذه الصفات والأعمال في كل من: الجن، شتمقرين، مرين ومرينة، غرطال الوحشي، ميمونة.
- 5- البحر والماء كالسفن وخاصة الحربية، ومن الموانئ البحرية ميناء الإسكندرية وجنوا، ومن القلاع قلعة العريش وقلعة صهيون، ومن البحر خليج مسيسي والحمامات المعدنية بجبل النار.



وبعد هذه الرحلة الطويلة مع السيرة الشعبية تبين أنها أقرب إلى رواية ملحمية تاريخية فنية إلى حد كبير، فقد استمدت من التاريخ خيوطها الكبرى، ففي سيرة الظاهر بيبرس والتي هي محور دراستنا نرى أنها مصبوغة صبغة أسطورية أوجت فيها عقائد المجتمع و ظروفه السياسية والاجتماعية، حيث أنها صورت بطولات الإنسان العسكرية و بطولاته الخلقية و سعيه لبناء دولة قوية موهوبة الجانب في الداخل و الخارج تنفذ شرع الله، ولا تأخذ ولي أمرها و سلطانها في الله لومة لائم. ومن أهم النقاط التي تم استنتاجها من هذا العمل :

- ❖ أن السير لا تكتب للحكي و التسلية فحسب، وإنما هي تعبر عن أهداف معينة يقصد إليها الكاتب ويختار لها القالب الروائي لتكون أكثر صلة بضمير الناس، وليسهل عليه إيصال ما يريد إلى قلوبهم.
- ❖ قيام السير الشعبية على أساس خلقي بمعنى أنها تعكس صورة مشرفة للخلق العربي الإسلامي والمثل العليا الإسلامية، إما في تصرفات الأبطال وإما في طريقة سير الأحداث.
- ❖ يعد فن كتابة السيرة الشعبية فن قائم بذاته، هو دراسة للأدب وللبيئة الاجتماعية، والأحداث التاريخية، وأنه نقطة الانطلاق في فن الرواية العربية والقصة الطويلة.
- ❖ أنّ هناك قواعد فنية مدروسة لكتابة السيرة، تتمثل في ربط البطل بالناس إما للقضية التي يمثلها وإما لإيضاح الرمز الذي يعنيه. مثل ما رأينا في سيرة الملك الظاهر بيبرس، حيث تمثلت في دقة رسم الشخصيات الجانبية ثم تمثلت في الحركة الدائمة وإطار المغامرات التي تعتمد على السمات الخلقية والجسدية، كما تمثلت أيضا في الربط بين أجزاء الرواية بحيث يخدم كل جزء العمل ككل.
- ❖ أنّ بطل السيرة صاحب رسالة هي دائما رسالة الحق، وأنه يصارع دائما الشر و أنه ينتصر دائما على هذا الشر في كل صورة.
- ❖ السيرة الشعبية فن قصصي صادق، امتزج فيه التاريخ بالأسطورة، والواقع بالخيال، بغية هز المشاعر اتجاه قضية ما تعبر عن ضمير الأمة وتطلعاتها.
- ❖ لغة السير الشعبية النثرية لغة سهلة مسجوعة تكاد تقترب إلى لغة التخاطب عند أهل المدينة التي يمتزج فيها الأصل العربي بروافد شعبية من مختلف الشعوب المسلمة مع بعض آثار اللغة الدارجة التي تستخدم محليا.
- ❖ استعمال الشعر في السير الشعبية يأتي للاستدلال أو الاستشهاد، وكذلك يأتي كأداة صراع داخل المعركة. إذ يخوض الأبطال معارك كلامية قبل معارك السيف أدناها الشعر، واستعمال الشعر في الحوار بين الأبطال أمر شائع في السير الشعبية كلها.
- ❖ يعد الظاهر بيبرس الحاكم الوحيد في تاريخ مصر الإسلامي الذي تحول إلى بطل شعبي أسطوري له سيرة

تحكى في المقاهي ويتداولها عامة الشعب صغارا وكبارا، فكانت سيرته ملحمة للبطولة يتغنى بها الشعراء والكتاب ليثيروا العظمة في نفوس الشعوب.

❖ سيرة الظاهر بيبرس الضخمة منحته بالفعل التميز و الظهور على كل الملوك.

❖ بطل السيرة ليس بعيدا عن البيئة العربية، فينبغي أن يتصل من حيث نسبه إلى نوح، وآدم على الأقل دلالة على عراقية عربيته وصدق نسبه وحتى في الحالات التي يكون فيها البطل غير عربي مثل سيرة الظاهر بيبرس فلا بد من وجود شخصيات تنوب عنه في العروبة، وتلعب دورا لا يقل عن دوره كـمعروف بن حجر في سيرة بيبرس.

وأخيرا وبعد أن أبحرنا في هذا المجال الواسع نأمل من الله أن ينال قبولكم وأن يلقي الاستحسان منكم، ونتمنى أن نكون قد وفقنا فيه ولو قليلا، وصلى الله وسلم تسليما كثيرا على سيدنا و حبيينا أشرف خلق الله محمد بن عبد الله و على آله وصحبه أجمعين.



المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم

✓ المصادر:

1- الفيروزبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005، مادة سير.

2- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة شعر، مج4

3- مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1306هـ، ط2، مادة سير.

4- الهيئة المصرية للكتاب، سيرة الظاهر بيبرس، رئيس التحرير: جمال الغيطاني، ج1، مج، 1996.

✓ المراجع العربية:

5- إبراهيم السعافين وآخرون، (أنور السويلم، أحمد الهواري)، أساليب التعبير الأدبي، دار الشروق، عمان، ط1، 1997.

6- إبراهيم عبد الدايم يحيى، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1975م.

7- أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م.

8- تقي الدين المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1418هـ-1998م.

9- جمال الدين بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، ج7.

10- حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1994م.

11- حسين فوزي النجار، التاريخ والسير، دار القلم، القاهرة، 1964م، (د.ط).

12- سعيد عبد الفتاح عاشور، الظاهر بيبرس، كلية الآداب جامعة القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. (د.ط)، (د.ت).

13- سيرة الملك الظاهر بيبرس، سلسلة الأنيس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر ط1، سنة 1998م الجزائر.

14- شافع بن علي بن عباس، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله الخويطر، الرياض، ط2، 1410هـ-1989م.

15- طه حسين، على هامش السيرة، من مجموعة (إسلاميات). منشورات دار الآداب بيروت، ج1، ط1، 1967م.

16- عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، مكتبة لبنان، مصر، 1992م.

- 17- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، طبعة موسعة، ج1، 2008.
- 18- عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار الملايين، لبنان، ط2، 1984م .
- 19- عز الدين محمد بن شداد، تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيط، منشورات المعهد الألماني للأبحاث، سلسلة النشرات الإسلامية، بيروت، ط1، 1983م.
- 20- فواز الشعار، الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1999م
- 21- محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج1، 1402هـ-1982م، د(ط).
- 22- محمود شلبي، حياة الملك الظاهر بيبرس، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ-1992م.
- 23- محي الدين بن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ط1، 1396هـ-1989م.
- 24- ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج1، 1411هـ.
- 25- الموسوعة الثقافية، سيرة الظاهر بيبرس.
- ✓ المراجع الأجنبية المترجمة:
- 26- إدوارد ولیم لين، المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم، تعريب: عدلي طاهر نور، القاهرة، دار النشر للجامعات المصرية، ط2، 1975م.
- ✓ الرسائل الجامعية:
- 27- حازم فارس علي أبو شارب، فن السيرة في الأدب الأيوبي، رسالة ماجستير في تخصص اللغة وآدابها، كلية الآداب والعلوم، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشرق الأوسط، 2010-2011م.
- ✓ المقالات والدوريات:
- 28- صفوان طه حسن الناصر، سيرة الملك الظاهر بيبرس لمحي الدين بن عبد الظاهر، دراسة نقدية في تحقيق الكتاب، قسم التاريخ لكلية التربية، جامعة الموصل، مجلة التربية والعلم، م17، ع3، سنة 2010.
- 29- عبد المجيد البغدادي، فن السيرة الذاتية وأنواعها في الأدب العربي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور- باكستان، العدد الثالث والعشرون، 2016م
- 30- محمد جاهمي، النص الأدبي سيماء وسيمياءه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة 8 ماي 1945، قالة.
- 31- محمد يوسف (باحث في جامعة لال نهر - نيودلهي)، السيرة الذاتية وحقائقها في التاريخ.

✓ المواقع الإلكترونية:

32- <http://www.ahl.alquran.com> ابن إياس مؤرخا.

33- <http://www.startimes.com> تطور فن السيرة عبر العصور.

34- <http://www.startimes.com> السيرة الذاتية المفاهيم والحدود في ضوء الأجناس الأدبية .

35- <http://www.startimes.com> مظاهر الضعف الأدبي في عصر الانحطاط.

36- <http://odabasham.net> النشر العربي في عصر الدول المتتابعة.



الملك

شعرية أدب السيرة "الظاهر بيبرس أتمودجا"

إشراف: د/ الشايب ورنيني

إعداد الطالبة: إيمان دادة

الملخص:

إنّ هذا البحث يتحدث عن السيرة الشعبية للملك الظاهر بيبرس والتي تعرف بالسيرة الظاهرية وهي قصة شعبية تحكي عن حياته وأعماله البطولية التي قام بها دفاعا عن الإسلام مواجهها أعدائه من الصليبيين والتتار، حيث يعد الملك الظاهر بيبرس الحاكم الوحيد في تاريخ مصر الإسلامي الذي أصبح بطل شعبي، أسطوري له سيرة تحكى في المقاهي و تناقلها عامة الشعب. فقد كانت سيرته الضخمة ملحمة للبطولة تركت أثرا كبيرا في نفوس الشعوب، كما أنّها منحتة بالفعل التميز والظهور على كل الملوك.

Résumé :

Cet exposé parle de la biographie populaire d'AL-Malik AL-Zahir Baybars comme sous le nom de « la biographie Al-Zahiria » qui est une histoire populaire. Cet biographie nous raconte l'histoire d'AL-Malek et nous parle aussi de ses acte de bravoure pour défendre l'islam...etc. pour cela, il a fait face à ses ennemis çroisés et tatare. Al-Malik Al-zahir est çonsidéré comme étant le seul gouverneur dans l'histoire de l'islam en Egypte, ce qui la rendu un héros populaire et légendaire possédant réputation à laisser parler dans les cafés et par la suit, le peuple se transmettait l'histoire de bouche à oreille.

Cette glorieuse biographie a marqué les peuples et à la fois a rendu AL-Malik si spécial par rapport aux autres rois.

Summary :

This research speaks about the popular biography of the king : « Daher baybars » that tells popular story about what brave he was against the crusaders and tatars moreover, he became the most popular king and legend who offectes people soul being a special king among the kings of all time.



فهرس المحتويات

رقم الصفحة	فهرس المحتويات
	إهداء
	شكر وعرهان
أ-ب	مقدمة
	مدخل
9	1- مفهوم الشعرية
10	2- مفهوم الأدبية
11	3- بين الشعرية والأدبية
11	4- النص الأدبي
12	5- أدب السيرة
12	6- السيرة لغة واصطلاحا
14	الفصل الأول: أدب السيرة في التراث العربي
15	I- السيرة في الأدب العربي
15	1- أنواع السيرة
15	أ- السيرة الذاتية
17	ب- السيرة الغيرية
17	2- الغاية والهدف من كتابة السيرة
20	II- موقع أدب السيرة بين الفنون الأدبية الأخرى
21	1- أدب السيرة والرواية
21	2- أدب السيرة والتاريخ
21	3- أدب السيرة والمذكرات
22	4- أدب السيرة واليوميات
22	5- أدب السيرة والرسائل
22	6- أدب السيرة والرحلات
23	III- العرب وتاريخ السير

25	1-تاريخية السيرة: بين التاريخ والسيرة
28	2-السيرة التاريخية قبل عصر الضعف
28	3-السيرة التاريخية في عصر الضعف
29	IV-خصائص فن السيرة
29	V-السيرة الشعبية
31	الفصل الثاني: سيرة الظاهر بيبرس
32	I-التعريف بسيرة الظاهر بيبرس
32	1-شخصية الظاهر بيبرس بين الشخصية التاريخية و الشعبية
34	2-منتج النص بين الكاتب المعلوم والكاتب المجهول
34	أ-الكاتب المعلوم
36	ب-الكاتب المجهول
37	3-مصادر النص السيري بين المادة التاريخية والنقل الواقعي المباشر
37	أ-المادة التاريخية
37	ب-النقل الواقعي المباشر
39	II-شعرية سيرة الظاهر بيبرس
39	1-مضمون سيرة الظاهر بيبرس
41	أ-البعء التاريخي في سيرة الظاهر بيبرس
41	ب-البعء السياسي في سيرة الظاهر بيبرس
42	ج-البعء النفسي في سيرة الظاهر بيبرس
42	د-البعء الاجتماعي في سيرة الظاهر بيبرس
43	2-دراسة فنية لسيرة الظاهر بيبرس
43	أ-دراسة الحوادث
44	ب-دراسة الشخصيات
48	ج-دراسة الحوار
49	د-دراسة البيئة

51	ه- دراسة الأسلوب
53	و- التقنيات السردية في السيرة:
56	خاتمة
59	المصادر والمراجع
63	الملخص
65	فهرس المحتويات